الجمهورية العربية اليمنية
جامعة صنعاء

لابدَّ من صنعاء ...

في النهاية .

الأستاذ
الدكتور/ خالد الحديدي
الأستاذ المساعد بالجامعة الليبية سابقا
والأستاذ الممتحن بجامعة حلوان وطنطا
وأستاذ الجراحة العامة جامعة سكونو
وكبير الجراحين مستشفى الطائف
وخبير منظمة الصحة العالمية بجنيف

الجمهورية العربية اليمنية
جامعة صنعاء

هدية إلى الأخ الصديق الأستاذ الدكتور محمود الحاج قاسم الكشاف لمدارس الطب في الإسلام في حضرته ولتقديم طبيب شبه الجزيرة عربي جديد .

لابد من صنعاء ... في النهاية .

الأستاذ
الدكتور / خالد الحريري
الأستاذ المساعد بالجامعة الليبية سابقا
والأستاذ الممتحن بجامعة حلوان وطنطا
وأستاذ الجراحة العامة جامعة صكونو
وكبير الجراحين ـ مستشفى الطائف
وخبير منظمة الصحة العالمية بجنيف

لمشاركة ونشر كتابك في ارشيف اليمن راسلنا على

books@yemenarchive.com

Yemen Archive

ارشيف اليمن

YemenArchive yemenarchive.com

جميع الكتب والمواد المنشورة في ارشيف اليمن متاحة للإستخدام التعليمي الشخصي فقط

الاستاذ الدكتور خالد الحديدي

ـ ولد في المنصورة جمهورية مصر العربية في ٩ مارس (آذار) ١٩٢٦
ـ بكالوريوس العلوم الطبية .
ـ بكالويوس في الطب و الجراحة جامعة القاهرة ١٩٥٢
ـ دبلوم الدراسات العليا المعادل لدرجة الماجستير في العلوم الادارية الطبية مع مرتبة الشرف ١٩٧٦ .
ـ ماجستير في جراحة المسالك البولية .
ـ زميل جمعية المكتبات البريطانية في لندن .
ـ عضو جمعية المكتبات الطبية الامريكية بشيكاغو .
ـ دراسات عليا في الحاسبات الالكترونية و الاحصاء الحيوى ١٩٧٦
ـ يعتبر الدكتور الحديدى من الفلاسفة الموسوعيين القلائل في العالم العربي . و هو صاحب نظرية " الوسطانية " التي اتت بمذهب فلسفي جديد .
ـ ترجمت نظريته الى عدة لغات و اثارت جدلا كبيرا بين الشرق و الغرب .
ـ صاحب اكثر من ١٨ بحثا طبيا منشورا و ٣٩ كتابا منشورا .
ـ له نظامه المعروف باسمه في تصنيف الكتب .
ـ شاعر له عدة دواوين من الشعر اهمها " الهوى الضائع ، آخر المطاف ، حكايا على أوراق الورد . "
ـ اديب له اكثر من تمثيلية و رواية ومجموعة قصصية .
ـ عالم بالتراث و له موسوعة التراث العربي . و موسوعة التربية الرياضية .
ـ اشرف على اكثر من اثني عشر بحثا لنيل درجة الماجستير .
ـ استاذ جامعي له تسع و ثلاثون كتابا . و خبير بمنظمة الصحة العالمية بجنيف .
ـ حائز على جائزة الدولة التشجيعية .
ـ مكتبته الخاصة تحتل كل غرف منزله و ينوف عدد كتبها على خمسين الف كتاب .
ـ رئيس مشروع مخطوطات الطب الاسلامي (١٩٨٢/١/١) الذى تشرف عليه موءسسة التقدم العلمي بالكويت و يشمل فهرسة جميع مخطوطات الطب الاسلامي في العالم ، ثم تحقيقها و نشرها .
ـ الامين العام للجمعية العالمية لاحياء التراث الاسلامى .
ـ أستاذ تاريخ الطب الاسلامى الزائر بجامعة صنعاء والسعودية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ، احمده واشكره واصلى على نبيه المبعوث بالهداية رحمة لكل العالمين .

واسأله التوفيق والسداد والرشاد ، وان يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، والذين يدعون الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، انه نعم المولى ونعم النصير ، ربنا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم .

وبعد ايها الاخوة الاحبة ..

لقد دفعنى الى القدوم اليكم اليوم الرغبة فى التعريف الصحيح بالتراث العربى ثم بالتراث الاسلامى والدعوة الى العمل باحكامهما ، ولقد اتى حين من الدهر كان الكاتبون لهذا التراث لا يؤمنون بالعروبة ، ولا يدينون بدين الاسلام .
وكان من الطبيعى ان يكتبوا تاريخنا محرفا من وجهة نظرهم هم سواء بحسن نية أو بسوء قصد متعمد مثل هذا الذى قامت به لندن من اقامة محاضرات فيتزجيرالد التذكارية حول طبنا العربى ، فجاءت المحاضرات مشوشة غاية فى التشويش مسيئة الى طبنا العربى والاسلامى غاية الاساءة ، مشككة فى احيان كثيرة فيما جاء حتى بقرآننا وكتبنا من اخبار ، شبيهة لفتن الشعوبية .

وقرآننا عربى لا عوج فيه ، واسلامنا اسلام لله ولرسوله ولكتابه ، هذا الذى يقولون انهم لا يأخذون بما جاء به من اخبار والذى نقول انه يهدى للتى هى اقوم ، وانه شفاء ورحمة للمؤمنين ، وان فيه نبأ من قبلنا ، واخبار من سوف يأتون بعدنا .

ايها الاخوة الاحبة ..

اننى كواحد من المشتغلين بتاريخ الحضارة العامة وتاريخ الحضارة العربية ثم الاسلامية ، وتاريخ الطب خاصة ، عز على ان اقرأ اكثر من خمسمائة كتاب من كتب الغرب عن تاريخ الحضارات وما اكثر ما كتب الغرب عن الحضارات ، فأراها جميعا لا تعترف بالحضارة العربية القديمة وخاصة هذه التى قامت بالجزء الغربى من جنوب شبه الجزيرة فيما نسميه ببلاد اليمن السعيدة ، وأراها جميعا تتجاهلها عامدة ، او غير مقدرة لهذا الدور الذى لعبته اليمن القديمة فى مسيرة الحضارات ككل ، على الرغم من ان حضارة بلادكم هذه كانت قديمة قدم الحضارات البابلية والاشورية ، مؤثرة تأثير الحضارة المصرية القديمة .

وعلى الرغم من ان هذه الحضارات الثلاث اليمنية القديمة والبابلية والفرعونية ، كانت

تشكل وحدة قديمة ازلية . وعلى الرغم من ان اهل هذه الحضارات كانوا شعبا متصلا واحدا احتفظ باستمراريته الحضارية منذ اتصل الساميون بالحاميين فى شبه جزيرة سيناء .

انني ارجو ان يكون واضحا منذ البدء انا ابناء شعب واحد يمنيين شاميين ومصريين وعراقيين نشأ فى هذه البقعة من الارض . واننا مزيج من بطون وقبائل عربية يمنية الاصل . تراثنا واحد وحضارتنا واحدة . نتماسك حينا وتتفرق احيانا الا ان سماءها مشتركة وأصلها واحد .

ايها الاخوة الاحبة ..

ولقد تعترف بعض كتب الغرب بالحضارة الاسلامية مرغمة . ولكنها جميعا تزعم فيما تزعم ان شبه جزيرة العرب كلها كلها . كان اهلها جميعا قبل الاسلام . قوما همجا لا حضارة لهم يعيشون فى ظلمة البداوة لا يعرفون مقدمات الحضارة من علم وبناء وطب .

انهم لا يذبحون فقط طبنا العربى ولكنهم يضعوننا من اسماقه او ابهاف النزيف . انظروا الى مستر براون . هذا الذى كتب كتابه عن الطب العربى . والذى سعد به المسلمون ايما سعادة رغم ما به من مصائب يقول :

" يجب علينا - من بعد كتابه هذا - ان نكف عن اى دراسة لهذه الحقبة من التاريخ . ذلك انه ليس من المحتمل . من اضيق وجه من وجوه النظر النفسية . ان تنتج اعمق دراسة للموضوع نتائج علمية ذات اهمية . "

عزيزى مستر براون انني عاجز عن ادعوك من قبرك كى تستمع الى دراستنا هذه . ولكنني ادعو كل العرب الذين اخذوا عنك ان يسمعوا ما نكتب وان يعوه .

وانتهز الغرب اننا نسمى عصرنا قبل الاسلام . عصر الجاهلية . فأخذوا من ذلك دليلا علينا . وهم ليعلموا يعرفون اننا نفعل ذلك لنصف عصر الاظلام النسبى الذى كان يسبق نور الاسلام مباشرة . وان الجاهلية لم تكن تعنى فيما نقصد الا نظام حكم ، واخلاقيات ، وطبائع وليست حضارة أو علما . والفراعنة بهذا المفهوم الذى سقناه رغم كل حضارتهم . جاهليون .

وحين قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر انه امرؤ فيه جاهلية . لم يكن يعنى ان ابا ذر لم يكن عالما متحضرا وانما كان يقصد ان له طبعا حادا حدة طباع الجاهلية .

ان اللـه سبحانه وتعالى كان يمهد هذه الجزيرة لتلقى دينه ولكى تصبح أرضا صالحة تنمو فيها بذور الدين الجديد . حكمة الله فى علاج امر هذه الامة المسلمة وتربيتها واعدادها للخلافة الكبرى .

هـذا من جهة . ومن جهة اخرى لم يفرق علماء الغرب بين شمال شبه الجزيرة . وبين اليمن فى جنوبها . فليس من شك رغم ما عموا من جهالة العرب قبل الاسلام . فى ان العالم كله كان يعيش فى جهالة فى هذه الفترة . وفى انه كانت هناك فى اليمن – منذ القدم – حضارة بناء ، وعلم ، وطب ، كما سوف نبين اليوم .

انـنا نحاول ان نقيم اصولا عربية يمنية للطب الاسلامى الذى ساد العالم لعشرة قرون فى العصر الوسيط . وان نثبت انه ليس صحيحا ان هذا الطب الاسلامى لم يبدأ الا فى عصور متأخرة ايام العباسيين . ولا كان نتيجة مباشرة لترجمة الطب اليونانى الى العربية فى اوائل القرن الثالث الهجرى ايام الرشيد والمأمون .

وليس صحيحا كذلك ان الاطباء العرب لم يكونوا سوى ناقلين . نقلوا الطب اليونانى القديم . ولم يكونوا الا معبرا عبرت عليه الحضارة اليونانية الى الغرب موطنها الاصلى . ثم نسف الغرب المعبر كما يزعمون .

ذلك انه كان بجنوب شبه الجزيرة قبل الاسلام طب بالمعنى الذى نعرفه اليوم . وكان هناك اطباء . ودواء . وكتاب . ونظرية مما يشكل مدرسة طبية بكل ماتعنى هذه الكلمة من معنى .

ايها الاخوة الاحبة ..

اصبح واجبا علينا كعرب . ان نعيد الى الحضارة العربية القديمة تاريخها الحقيقى فى هذه البقعة السعيدة من الارض . كما اصبح لزاما علينا كمسلمين ان نعيد الى الحضارة الاسلامية . انتماءها الى الحضارة العربية الام . وان ننتزع حضارتنا الاسلامية تلك التى قادت العالم لأكثر من عشرة قرون . ان ننتزعها من بين احضان الحضارة الاغريقية التى اوقعنا الغرب فى حبائلها . والتى صرنا فى اثرها مغمضى العيون . لكى نعيدها الى احضان امها العربية اليمنية . التى كان من الطبيعى بحكم الدم . والجوار والنسب . والدين ان تلدها . وان تتواصل هاتين الحضارتين العربية اليمنية والاسلامية لما بينهما من اواصر جغرافية وصلات لغوية ونسب واهل وجوار .

وفى الحقيقة فان الحضارة الاسلامية برمتها حضارة عربية يمنية الاصل .

ايها الاخوة الاحبة ..

انني في البدء اقول لكم . " اننا لا يصح ان تنقل ما في كتب الغرب كقضايا مسلم بها فيما يتعلق بحضاراتنا القديمة عربية كانت او اسلامية .
واننا لا يجب ان نقف مكتوفي الايدي امام ما يحاول الغرب ان يصبه في آذاننا ، أو يصوبه الى صدورنا من مغالطات .
ان كل كلمة كان الغرب يكتبها كان وراءها غرض تبشيري او اغراض استعمارية كما يعترف بذلك الغرب نفسه . ان المستشرقين حين كتبوا عن تراثنا وحضارتنا كانوا ينتزعون بعض قوالب الحجارة من عمارتنا حتى يصيبها الانهيار . وكانوا يضيفون قوالب غير سليمة من الطوب الى عمارتنا حتى لا يستقيم البناء . عامدين او عن غير قصد احيانا . عقدة النقص التي اصابتهم - كما سبق ان شرحنا في كتاب لنا سابق - من سيطرة الاسلام على اوربا في صدر الاسلام . ومن هزيمتهم الكبرى على يد المسلمين في الحروب الصليبية . ومن سيادة الدولة العثمانية ووقوفها على ابواب اوربا في النمسا تطرقها بشدة لولا تآمر الغرب عليها . "

اننا لا نطلب من هؤلاء المستشرقين المصابين بعقدة العرب وعقدة الاسلام ، ان يكون ولاءهم لحضارتنا وديننا اكبر من ولائهم لحضارتهم هم ، ودينهم هم .
اننا بذلك نطلب المستحيل .
انهم فوق عقدهم تلك لا يفهمون لغتنا او كتبنا مهما اوتوا من البلاغة لا يتذوقون شعرنا ولا يعرفون ائمتنا مثل الجاحظ او الهمداني كما نعرفهما نحن .
انهم كانوا دائما يزعمون ان لديهم مناهج يسخرونها لخدمة قضايانا .
واليوم . اصبح لدينا العديد من الجامعات العربية والاسلامية في كل بلد عربي .
واصبحت مناهجنا في البحث حول حضارتنا الاسلامية او العربية . تماثل - ان لم تفق - هذه المناهج التي يزعمون انهم يملكونها . واصبح لدينا من الباحثين مثل ما لديهم واعظم . والا ، هل يستطيع عالم من الغرب ان يدعي انه يعشق حضارة العرب في جنوب شبه الجزيرة - هنا في اليمن - كما نعشقها نحن العرب الذين تجري دماؤها في عروقنا ؟

هل يستطيع واحد منهم أن يزعم انه يفهم الهمداني كما يفهمه احد ابناء اليمن مغروس في اعماقه كما قد يفعل احد احفاده الدكتور عبد العزيز المقالح او محمود ابراهيم الصغيري او القاضي اسماعيل الاكوع مثلا ؟

هل يستطيع عالم غربى ان يفهم ما كتبه العرب عن السكر ومضاعفاته وان يوصل ما كتبوه كما استطاع ان يفعل الاخ الصديق الدكتور عبد الله جنيد وباللغة العربية؟ لــذلك ..

اننى ارى اننا اليوم فى موضع نستطيع منه ان نرفض رفضا باتا ، ما لا تقبله عقولنا ، او يتعارض مع ديننا او عروبتنا مما يقوله الغرب ، وان نكتب تاريخنا من واقع ما تقبلـــه عقولنا وما اتت به دياناتنا .

ان منهجنا يختلف تماما عن منهج علماء الغرب والمستشرقين . انهم يقيون دلائلهم على ما يتفق مع نظرياتهم العلمية ويفسرون الاثار والكتابات بما يستقيم مـــع هذه النظريات ، غير عابئين بما اتت به الكتب السماوية من اخبار .

امـــا نحن ، فاننا نراعى ما جاء بهذه الكتب السماوية ، وخاصة القرآن ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى اثبتت الشواهد التاريخية صدق كل ما اخبرنا به من حقائق تاريخية عامة تاركين التفصيلات والشروح الدقيقة لهـــذه النظريات وتلك الآثار والكتابات .

" فاما الذين آمنوا فيقولون انه الحق من ربهم ، واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا . "

ان ما اتى به قرآننا حق ، وما جاء باحاديث نبينا صدق ،وما كتبه علماؤنا صحيح وهذا هو منهجنا دونهم .

ان القرآن الكريم فيه كل شئ ، فيه نبأ من قبلنا وأخبار من سيأتون بعدنا ، ولكـــن هذه الاخبار لا يفتح الله بها الا على المسلمين المتقين .

" الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ... هدى للمتقين " ولا بد ممن يريد ان يستلهم القرآن آياته ان يأتيه بقلب سليم خالص يخشى الله ويتوقاه ، ولا تستهويه المآثم والضلالات وبعدئذ يتفتح القرآن عن اسراره وانواره لهذا القلب الخائف المهيأ للتلقى .

اننا لا نستطيع ان نغفل القرآن كأقدم المصادر العربية ، المعول على صدقها ، رغم ما يزعمون من اننا لا يجب ان نأخذ التاريخ من القرآن أوالحديث لانها ليست كتب تاريخ ، وانها تهدف الى العبرة الاخلاقية اكثر مما تهدف الى سرد وقائع تاريخية (١) وانا اقول : " ان ذلك افتراء ، وانه لا مانع من ان نتناول ما جاء بالقرآن عن حضـارة عـاد ، أوالحضارة السبئية بالتوحيد ، كمرجع لا يأتيه الباطل .

---

(١) د . سيدة اسماعيل كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ومناهج البحث فيه ١٩٦٠

فالله يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها . لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والارض ، ولا اصغر من ذلك ولا اكبر ، الا في كتاب مبين (سبأ آية ٣) .

ايها الاخوة الاحبة ..

لقد ايدت الكشوف التاريخية كل ما جاء بالقرآن من حقائق ، كما ايدت ذلك اخبار التوراة ، فلماذا لا نسترشد بالكتب السماوية ، ولماذا لا ندرس اشعار العرب القديمة كمصدر هام لتاريخ العرب ، ولا سيما انها لا تتعارض هي ايضا مع هذه الكتابات التي اكتشفت مؤخرا بالخط المسند ، والتي سوف توضح الكثير من حياة اليمن القديمة .

لماذا لا ندقق في كتب التاريخ العربية القديمة وما حوته من اشارات قد تكون قصيرة ، ولكنها تفتح الطريق الى حياة هذه الامة الخالدة مثل كتب ابن اسحاق وابن هشام وابن جلجل والمسعودي والطبري وابن الاثير وابن صاعد والهمداني .

انه لمن الضروري والحتمي لفهم المشكلة برمتها ، ان نفرق بين الحضارة العربية القديمة والحضارة الاسلامية التي تلتها ، حتى نستطيع ان نفرق بين العلم العربي والعلم الاسلامي ، والطب العربي والطب الاسلامي .

الحضارة العربية عندي ، هي كل ما كان موجودا قبل الاسلام في شبه جزيرة العرب باللغة العربية او باللغات السامية الاخرى ، وما تفرع منها من سبئية او حميرية او لحيانية او صفوية .

والحضارة الاسلامية عندي هي التي تلت الحضارة العربية في كل الامبراطورية الاسلامية باللغة العربية غالبا وببعض لغات البلاد التي انضمت الى الاسلام بعد ذلك كالفارسية والسريانية والتركية احيانا اخرى .

ومن هذا المنطلق نستطيع ان نقول ، ان الطب العربي هو ما كان يعرفه العرب قبل الاسلام في شبه جزيرة العرب وفي اليمن على وجه الخصوص ، وان نميزه عن الطب الاسلامي هذا الذي عرفه العالم كله ، بعد الاسلام ، في كل الامبراطورية الاسلامية ، وفي بلاد الفرنجة التي لم تصبها نعمة الاسلام .

ان القول انه لم تكن هناك حضارة عربية في شبه الجزيرة قبل الاسلام هراء يتعارض مع ما جاء بالقرآن وما رددته التوراة . وهو قول يدعيه الغرب ليزعم ان حضارتنا مأخوذة عن بلاده ، وانه صاحب الفضل ، واننا مدينون له بهذه الحضارة . والقول بأنه لم يكن هناك طب عربي قبل الاسلام ، زيف يدعيه الغرب

ايضا لهزعم ان طبنا الاسلامى مأخوذ عن اليونان . وليس لنا فيه فضل .

والعرب عندى هم هؤلاء العرب العاربة ، الصرحاء ، الذين سكنوا جنوب شبه الجزيرة ، والذين هاجروا من اليمن ارض العرب الاصلية الى العراق والى الشام والى مصر . كما ان المسلمين هم الاسم الذى نطلقه على كل الشعوب التى حمل اليها العرب راية الاسلام ، وتكلمت العربية بعد ذلك ، واتخذتها وسيلة للكتابة واداة لحضارتها المدونة .

والحضارة اليمنية تمتد حتى الى ما قبل العرب العاربة الى العرب البائدة . فانه مما لا شك فيه ان عادا وابنه شداد اقاما باليمن مدينة عظيمة يطلق عليها ارم ذات العماد (١) . وانها كانت مدينة غاية فى روعة البناء ، لم يخلق مثلها فى البلاد ، وانهم يقولون انه جمع لها كل ما فى البلاد من ذهب وفضة ودر وياقوت ، ومسك وعنبر وزعفران . وانه أمر بالذهب فضرب أمثال اللبن وبنى به المدينة وامر بالدر والياقوت والزبرجد والعقيق فزين به جدرانها ، وجعل لها غرفا من فوق غرف ، بعمد ، واجرى من تحت المدينة واديا ساقه اليها من تحت الارض اربعين فرسخا ، كهيئة القناة العظيمة ، ثم امر فأجرى فى ذلك الوادى سواقى فى تلك الشوارع والسكك والازقة ، كما يقول ياقوت .

يقولون ان هناك مبالغات كثيرة فيما وصفه ياقوت او ابن خلدون ، من قصور هذه المدينة ، وابوابها ، وسورها الذى يبلغ ٣٠٠ ذراع ، مفضضا خارجه وداخله بأنواع اليواقيت ، وهذه المناظر او الحجرات التى بناها شداد ابن عاد خارج سور المدينة وعددها ٣٠٠،٠٠٠ منظرة بلبن الذهب لينزلها الجنود .
ولكنه من الواضح انه كانت توجد منذ ذلك التاريخ السحيق الذى يضرب به العرب المثل فى القدم (٢) ، كانت توجد هناك حضارة بناء لا تقل عن حضارة البناء فى مصر على ايام الفراعنة ، وان مناجم الذهب كانت تستعمل بشكل يبهر الانتباه والدهشة ، كما نقف اليوم مذهولين امام ذهب توت عنخ آمون وعرشه واقنعته الذهبية الخمسة .

---

(١) " ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ٨ ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ٩ وفرعون ذى الاوتاد ١٠ (سورة الفجر) .
(٢) كان العرب يضربون المثل فى القدم بقوم عاد .

وانه لمن الواضح كذلك انه كانت هناك حضارة زراعية اعظم من حضارة مصر او آشور او بابل - فى هذا الزمان - كما كانت هناك حضارة بناء لا تقل عن حضارة مصر . وحضارة الزراعة تلك اقتضت شق القنوات ، واقامة الوديان من حولها ، وبناء السواقى .

وخلف عاد ابنيه شديد وشداد ، والى شداد هذا يعزى فتح بلاد الشام والعراق ومصر والهند (١) . وفى القرآن ان قوم عاد كذبوا هودا وكان نبيا منهم ، دعاهم الى عبادة الله ، وترك الاصنام ، فأبوا ، فأصابهم قحط ثلاث سنوات وبقى هود ومن آمنوا معه وسموا بعاد الثانية (٢) .

ويزعم بعض العرب انهم هم الذين بنوا اول من بنى سد مأرب . وظل حكمهم الف سنة الى ان غلبهم القحطانية (ابن خلدون وياقوت) .

وتعود العرب اذا رأوا اطلالا قديمة عليها نقوش لا يعرفون صاحبها ان يسموها عادية ، فهم مثل قوم ثمود كما جاء بالقرآن يتخذون من الارض قصورا وينحتون من الجبال بيوتا .

ليس صحيحا اذن ان شبه جزيرة العرب كانت فى كل نواحيها اقل اقطار الارض ارتيادا ، كما يدعى الغرب . وليس صحيحا كذلك ما زعمه الغرب طوال هذه القرون من ان سكان شبه الجزيرة كلها كانوا اكثر الناس عزلة واقلهم اتصالا بالجنس البشرى ، واكثرهم بداوة وجهلا ، ولا ان قبائل شبه الجزيرة كانوا دوما قبائل متعادية تحب الحرب وتتبادل القتل والنهب والسلب (٣) .

ولان صح هذا عن اقليم نجد الجبلى والربع الخالى الصحراوى ، فانه لا يصح ان يطلق على علاته ، وخاصة فى يمننا الخضراء السعيدة .

اقول لو صح ذلك على اقليم الصحراء فانه لا يصح على جنوب غربى الشام (بترا PETRA) ولا على جنوب غرب الجزيرة (اليمن) فاننا نعرف انه منذ بطليموس تم تقسيم شبه الجزيرة العربية الى اقسام ثلاثة متباينة مناخا ، وسكانا ، وحضارة وهى :

---

(١) جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام . بيروت د . ت .
(٢) سورة الاعراف . آية ٦٥ - ٧٠ .
(٣) ى . هل : الحضارة العربية ترجمة ابراهيم العدوى ص ١٢ .

البتراء (Arabia Petrix) وهى الارض الواقعة جنوب غرب الشام .
الصحراء (Arabia Deserta) وهى المنطقة الصحراوية من شبه الجزيرة
الارض السعيدة (. Arabia Felix)وهى بلاد اليمن موطن الحضارات .

ولسنا ندرى لماذا كتبت مئات الكتب عن حضارة البتراء، ولم يكتب مثل هذا الكم عن اليمن السعيدة الخضراء ، رغم انها اقدم حضارة وتاريخ . الا ان البتراء اتصلت بحضارة الغرب الرومانية ؟

ولكن الذى يهمنا هنا ان نسجله ان اليمن لم تكن معزولة عن العالم كما يزعمون عن شبه الجزيرة فهى كانت متصلة بالهند وحضرموت وساحل الخليج فى الشرق وهى كانت متصلة بآشور وبابل فى الشمال . وهى كانت متصلة بمصر فى الغرب . وهى فوق كل ذلك كانت لها اتصالات وثيقة وجوار ونسب كما ذكرنا بباقى شبه الجزيرة العربية اتصالا دائما ومستمرا فى رحلة الشتاء . وبالشام فى رحلة الصيف .

ايها الاخوة الاحبة ..

ليس من شك ان اليمنيين كانت لهم اوثق الصلات بشبه جزيرة العرب ككل ذلك امر بدهى لا يحتاج الى دلالة . ولو اننا نؤكد ذلك بما وجدنا من تنوعات من خط المسند بالحجاز منقوشة على الحجارة فى العلاء جنوبى الحجر . فيها بعض اسماء ملوك لحيان واسماها العرب لحيانيه . كما عثرنا على كتابات بفرع آخر من المسند فى جبل الصفا بحوران اطلق عليها العرب صفوية .
وانه منذ تولى قحطان الملك على اليمن كانت شبه جزيرة العرب كلها فى اغلب ايامها تحت حكم واحد . يقول ابن خلدون : " قال ابن سعيد : وولى اخوته ـ يعنى قحطان على جميع اعماله . تولى جرهما على الحجاز . وعاد ابن قحطان على الشحر وحضرموت ابن قحطان على جبال الشحر . وعمان ابن حضرموت على عمان ... هكذا ذكر البيهقى (١) ".

وكان هناك حلفا بين اليمن وربيعة فى الجاهلية . وقد اورد الدينورى المؤرخ مستندا من هذا القبيل فى تاريخه . وفى اواخر عهد بنى امية كتب رجل يدعى الكرمانى الى حفيد من حفدة ابرهة بن الصباح آخر ملوك حمير ـ فى قوله ـ وكان مستوطنا الكوفة . يسأله أن يوجه اليه بنسخة حلف اليمن وربيعة فى الجاهلية .

---

(١) ابن خلدون : الجزء الثانى صفحة ٤٢ .

فأرسلها هذا اليه ، فقرأها الكرمانى على اشراف اليمن وعظماء يهمة ٠

والباحث فى تاريخ اليمن القديم بعكس الكاتب لتاريخه بعد الاسلام يجد صعوبات جمة فى سبيل ذلك ، بسبب الافتقار الى الوثائق التاريخية – من جهة – فيما عدا هذه الكتابات القديمة التى اكتشفت مؤخرا والتى يصعب فهمها على المؤرخ العادى ، وبسبب هذا الخط المسند الذى تفتقر تفسيراته الى الدقة من جهة اخرى ونتيجة لاعتماد هذه المنطقة فى تاريخها على الروايات والامثال والقصائد فيما عدا ما نجده متناثرا فى تواريخ الامم الاخرى من حضارة اليمن القديمة كما فى تاريخ بابل ، او مصر ، او تاريخ الشام ٠

وحتى هذه الحضارات المعينية والسبئية والحميرية التى كشفت عنها الاثار مؤخرا نجد صعوبة بالغة فى بناء تاريخ دقيق متصل فيما بينها فالملوك تتكرر اسماؤهم دون تفرقة فيما بينهم ٠ والتواريخ تتضارب ٠

وكان تاريخ العرب يتواتر شفاهة ٠ ولا يجرى تدوينه على الورق على مدار آلاف الاعوام ٠ او لعل العرب شغلوا بتاريخهم الحديث عن تاريخهم القديم ٠ او وجدوا متعة فى محو مفاخر جاهليتهم لكى يثبتوا امجاد اسلافهم عادة قديمة من عادات الملوك اسيناها فى كتاب لنا سابق عقدة حتشبسوت ٠ فقد شرع احد الملوك فى نقش له مستفيض هام نشر حديثا ، كيف انه أزال جميع النقوش (الاسطر) التى نقشها ملك مهزوم باليمن فى قصوره ومعابده ٠ ولا شك ان هذه النقوش كانت تتضمن تاريخ مملكة يمنية لا نعرف عنها الا القليل مثل مملكة أوسن ٠

ومع ذلك فهناك ثوابت لا اختلاف عليها ولسوف نبنى حول هذه الثوابت ٠

اننا نعرف اليوم ان اول استيطان جماعى عربى فى جزيرة العرب حدث فى اليمن فى عهد قحطان على قول ، وفى عهد مملكة يعرب على قول آخر (١) كما نعرف ان العرب العاربة او العرباء هم العرب الاصليون ، او شعب قحطان الذين سكنوا جنوب شبه الجزيرة ٠ وكان اول ملوكهم قحطان ابن عابر بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ٠ وقيل ان قحطان هذا اول من ملك اليمن من العرب ولبس التاج وأول من سُلِّمَ عليه بأبيت اللعن ٠ ثم خلفه يعرب بن قحطان بن عابر بن ارفخشذ بن سام، وهو الجيل الخامس من سلالة سام ، والذى اتسع ملكه حتى شمل كل شبه الجزيرة ، والذى سميت شبه الجزيرة العربية باسمه كما نسبت اللغة العربية اليه ٠

---

(١) انتونى ناتنج : العرب تاريخ وحضارة ترجمة محمود مسعود ج ١ ص ١١ ٠

وهكذا فان اول استيطان جاهلي لليمن يقدر بنحو ٤٠٠٠ ـ ٤٥٠٠ سنة ق م وان حضارة اليمن بذلك ترجع الى ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ عام .

انها نهضة عربية اذن منذ نيف وسبعة آلاف عام . تشبه نهضة العرب فى صدر الاسلام . وللامم ادوار تثبت فيها ... تغلب . فلقد اقتحم عرب اليمن ضفاف ولــــق النيل والفرات . كما اقتحم المسلمون ضفاف الروم والفرس بعد ذلك باربعين قرنا مــن الزمان . والتاريخ يكرر نفسه ابدا .

الحضارة فى تعريفها الواسع هى طريقة حياة جماعة انسانية مستقرة تتضمن كــل انماط السلوك المكتسبة التى يتبعها افراد هذه الجماعة وتتوقعها الجماعة منهم وتقرها .

وليس من شك فى انه حتى فى ذلك العهد القديم الموغل فى القدم . كــانت هناك فى اليمن حضــارة بهذا المعنى الذى سقناه . جماعة انسانية مستقرة . يحكمهــا ملك هو قحطان . وانه كانت هناك دولة ، وانه كان هناك نظام ثابت للحكم يقوم علـــى الوراثة ، فقد اورث قحطان الملك لابنه يعرب . وان قحطان هذا كان يلبس تاجا وان نظام الحكم ذلك لم يكن امرا مستغربا . فقد سادت فيه الملكية فى مصر ايضا وكان نظامـا معروفا على ايام مينا او نارمر ، الذى كان يلبس التاج هو الاخر وكان على رأس جماعـة انسانية مستقرة فى وادى النيل .

وان نوعا من الكتابة يشبه الكتابة المصرية القديمة . ولسانا هو ذات لسانهــا كان مستخدما باليمن (١) . وانه حتى من قبل ذلك كانت هناك تجمعات مكثفة او مدن (ارم ذات العماد) وان تنظيما سياسيا كان قائما على رأسه الملك . وان نموا تخصصيا مهنيا قد اخذ به وان الادارة كانت لها الاشراف على هذا التخصص المهنى . وأن الضرائب كانت تجبى بمقتضاه .

نحــن اذن امام حضارة مكتملة . لا بد انها قطعت شوطا بعيدا لتكتمل . الف عام او الفين اخرى وانها لم تكن تقل عن الحضارة المصرية القديمة . او الحضارة البابلية هذه التى سوف نقول انها كانت يمنية الاصل ايضا .

يقول نسابة العرب انه ولد لقحطان بن عابر يعرب . فولد ليعرب يشجب . فولد يشجب سبأ . فولد سبأ حمير وكهلان وعمرا والاشعر وانمار ومرا . فولد عمرو بــن سبأ عدى وولد عدى لخما (٢)

---

(١) الكامل بن الاثير . جـ ١ صفحة ٤٧ .
(٢) الكامل لابن الاثير جـ ١ صفحة ٤٥ .

ويقولون ان اولاد سام هؤلاء كانوا عربا يتكلمون اللسان المصرى القديم (١) ، وانهم كانوا يسكنون صنعاء قبل ان تسس صنعاء .

والراجح ، ان هذا الركن الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة (اليمن) قد ضاق بسلالات سام التى اطلق عليها علماء الاجناس الساميون (٢) .

والراجح كذلك ، انه قد تلى ذلك ، هجرة عربية اولى حوالى عام ٣٥٠٠ ق م على امتداد الساحل الغربى لشبه الجزيرة العربية مرورا بالحجاز وسيناء الى ارض مصر ، حيث اختلط الساميون بالحاميين لينشأ جنس سامى حامى هو المصرى هذا الذى اقام من عناصر العلم والثقافة ما نعرفه اليوم . وهذا لعمرى هو السبب فى ان التوراة ، كما جاء فى انساب اليهود (١٠ : ٢٨) تعد سبأ من نسل سام ، كما انه فى انساب اليهود ايضا (١٠ : ٧) تعد سبأ من نسل حام مع المصريين والافارقة وظن مؤرخو الغرب ان ذلك خطأ والحقيقة انها سامية حامية بهذا الفهم الذى سقناه .

وهكـذا اختلطت حضارة اليمن القديمة بالحضارة المصرية القديمة ـ كما سنبين ـ اخذ اليمن من مصر القديمة العادات والطرائق العلمية واعطاها هو ايضا من ثقافته وطرقه وعاداته ما يفى باحتياجات المجتمع فى مصر واليمن ، بل ان الجميع كما يقول ابن الاثير كانوا يتكلمون لسانا مصريا قديما واحدا .

وتلى ذلك هجرات يمنية سامية متعددة الى وادى النيل ، فى العصور المختلفة ، عبر البحر الاحمر الى القصير فقفط .Koptos التى وجدت رسوم معينية على جدرانها . الامر الذى حدى ببعض علماء اللغات القديمة الى ان يدخلوا اللغة الهيروغليفية ضمن اللغات السامية لما فيهما من تشابه،وخاصة ضمائر الرفع المتصلة والمنفصلة ، وبعض اسماء الاعلام مثل الماء ، والنحاس وسقر (جهنم)(٣) .

والجدير بالذكر ان المتواتر ان اصل اللغة الهيروغليفية كان فى سيناء حيث كان اول اختلاط اليمنيين الساميين بالمصريين الحاميين لينشأ الجنس السامى الحامى المصرى الحالى . وهذا ما دعى الكثير من مؤرخى العرب الى ان يذهبوا الى ان اليمنيين القدماء منذ عاد كانوا يتكلمون لسانا مصريا كما اسلفنا ، وما جعل بعض علماء اللغات يعملون الى توحيد اللغات السامية والحامية فى اسرة واحدة يسمونها السامية ـ الحامية .

---

(٢) د . حسن ابراهيم : اليمن السعيد ، دراسات
(١) الكامل لابن الاثير جزء ١ صفحة ٤٥ .
(٣) انتونى ناتنج : العرب تاريخ وحضارة تعريف محمود مسعود جا ص ١٤ .

وهكذا ايها الاخوة الاحبة سكن القحطانيو اليمن منذ ٤٠٠٠ عام قبل الميلاد وهاجروا منها الى شبه جزيرة سيناء ، وانتقلوا الى مصر عن طريق برزخ السويس او البحر الاحمر ، وكان المصريون القدامى يسمونهم (طمو) ، وهى لفظة سامية معناها الامة ، ويسمون بلادهم الارض المقدسة او ارض الالهة ، وكان لليمنيين فى شبه جزيرة سيناء وما يليها سيادة وحكومة من اقدم الحكومات (١) .

ايها الاخوة الاحبة ..

حدث بعد هذه الهجرة الى سيناء ومصر بخمسمائة سنة اخرى - اى حوالى ٣٠٠٠ قم - ان هاجر اليمنيون القدماء مرة ثانية ، على طول الشاطىء الشرقى هذه المرة ، وانتهى بهم المطاف الى وادى نهر دجلة والفرات حيث اتحد اليمنيون الساميون بالسومريين اللاساميين ، وجاء منهم البابليون .
وكما حدث مع نظرائهم فى مصر فلقد اخذوا من الثقافة المحلية والعادات والطرائق العلمية ما يفى باحتياجاتهم هم ايضا ، واعطوهم .
ولقد كان تأثير هجرة الشرق هذه ، كما كان تأثير هجرة الغرب ، كبيرا ومباشرا . وكما عبد اليمنيون الشمس عبدوا معبودات بابلية ، فكان عندهم عشتار وايل وبعل وغيرها ، مما يختلف كثيرا عن عبادات شمال الجزيرة العربية كاللات والعزى ومناة وهبل .
كما ان اسماء اهل اليمن المعينية والسبئية تشبه اسماء دولة حمورابى ، كقولهم ابيدع ، ويشع ايل ، ومعدى كرب ، وابو كرب ، واليشرح ، وكرب ايل ، وذمر على ، ووهب ايل ، وياسر دقعم ، وشمر ، ومهرعش .
وطبقا لما يقول سايس الانجليزى فقد كان اساس هذه الهجرة الى الشمال او هجرات اخرى تالية قبيلة سميت باسم زعيمها وهى قبيلة كلدة التى كانت مؤسسة الدولة الكلدانية فى الشمال .

وبعد ذلك بحوالى خمسمائة عام اخرى (اى حوالى ٢٥٠٠ قم) تمت هجرة اخرى من اليمن الى الشمال وتوزعت فى جنوب وادى الرافدين واواسطه ، فى المنطقة السورية ، وفى شمال غرب الهلال الخصيب . كما اندفعت اجزاء منها واستوطنت المرتفعات المشرفة على فلسطين ، وكان من بين العناصر التى تألفت منها هذه الهجرة الجديدة الكنعانيون ، وقد حلوا غرب الشام وفلسطين ، والساحليون الذين

(I) King I(_I58)

ساهم الافارقة . الفينيقيون (١) .

وقد ذكر هيرودوت (٤٥٠ ق م) ان اصل هؤلاء الفينيقيين عرب حين قال : " والفينيقيون كانوا يسكنون سابقا سواحل بحر اريتريا (البحر الاحمر) كما يقولون هم انفسهم . ولكنهم اجتازوا من هناك الى سواحل سورية وقطنوها . (٢) ولعل عبادة الفينيقيين للالهة عشتروت اخذوها من اليمن كما اخذوا اسماء بعض المدن - مثل صور - من اليمن ايضا .

هذه هى اليمن ايها الاخوة، بلدى وبلدكم التى قد تكون طبقا لما روينا ، اصل كل الحضارات التى تلتها المصرية منها والبابلية والاشورية والفينيقية .

وليس صحيحا ما يدعيه البعض من صعوبة قيام هذه الحضارة اليمنية لان اليمن لم تكن بها دلتا لنهر كبير . او نهر كبير ، لان الحضارات - كما يقولون - تنشأ حيث مصاب الانهار الكبيرة وعلى ضفافها .

اقول . ليس صحيحا ما يزعمه البعض من ذلك فدلتا نهر النيل فى البدء كانت غير مسكونة . وليس صحيحا من ان الحضارات تحتاج الى نهر كبير تنمو على ضفافه فالمعروف ان نهر المسيسبى . وهو من اطول انهار الدنيا . لم تقم فى القديم حضارة من حوله .

وعندى . ان الاستقرار الزراعى وحده هو الذى يتسبب فى قيام حضارة ما ، هذا الاستقرار الزراعى الذى كان قائما على اتم ما يكون فى اليمن . من قبل سد مأرب . وبعد سد مأرب بسبب السهول الشديدة الخصوبة . التى قامت باليمن الخضراء . والتى كانت تعتمد على الامطار . والتى كانت سببا فى قيام الكثير من المدن والقرى والمراعى الجيدة . التى وصفت بأنها اكثر جودة فى تلك الايام السحيقة لان عناية اهلها بها كانت احسن . والتى وصفت دولة سبأ بسببها بأنها آية جنتان " لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان . عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . " (سورة سبأ آية ١٥) .
ووصفت بانها بلد طيب " والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه " الاعراف ٥٨ - .

اقول ان هذا الاستقرار الزراعى الثابت كان سبب هذه الحضارة بنفس الاستقرار الذى قام يوما حول نهر النيل وقامت بسببه الحضارة المصرية القديمة وذلك الاستقرار

---

(١) احمد الاشقر : تاريخ سورية . جزء ١ ص ٨١ .
(٢) تاريخ هيرودوت : ترجمة حبيب سعيد . بيروت ١٨٨٦ .

الزراعى الذى قام حول نهر الدجلة والفرات وقامت بسببه الحضارتين الاشورية والبابلية

ايها الاخوة الاحبة ..

استميحكم عذرا اننى اطلت فى وصفى هذه الحضارة اليمنية التى قامت منذ اكثر من سبعة آلاف عام ، والتى تدل كل الشواهد انها اتصلت بالحضارة المصرية القديمة واثرت فيها وتأثرت بها كما اتصلت بالحضارة البابلية اثرت فيها وتأثرت بها ، وبالحضارة الفينيقية ايضا . دعانى الى ذلك على بأن اليونان او العرب لم يذكروا بالتفصيل هذا التاريخ القديم لليمن واكثر مدنها القديمة قبل الاسلام خبت وخربت وغطتها الرمال واصبحت بادية قاحلة بلا ماء ولا عمارة ولكننا نعرف انها وغيرها من القرى كانت قائمة كما يحكى القرآن الكريم . (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة) ، ونعلم ان طرق التجارة كانت قائمة بينها آمنة اشد ما تكون امانا فى ظل جيش قوى كانت كل مهمته ان يحمى هذه الطرق ، (وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين) (سبأ اية ١٨) .

ولكن اهتماما زائدا بهذه المدن قد بدا واضحا فى كتب التاريخ منذ اول القرن العشرين وبات المنقبون يبحثون عن اطلال هذه المدن والقرى القديمة ، ومنها نقل ارنو وهاليف وجلازر وغيرهم ، نقوش المسند ، واستدلوا بها على اخبار تلك العصور الخالية .

ولعل سببا آخر دعانى الى الافاضة فى ذكر تاريخ اليمن القديم هو ما بين يدى من كتب التاريخ التى تُدرس فى اليمن السعيد ، وهى تبدأ من اول معين منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد متجاهلة ما قبل ذلك تماما ، لقلة ما بين يدى مؤلفيها من مصادر .

حسنا : اننى اقول لكم انه حين ظهرت مملكة معين تلك - التى بدأت بها كتب التاريخ لديكم - فيما بين عامى ١٢٠٠ قم - ٦٥٠ قم كانت مملكة لها حدودها وتشمل معين وقتبان وحضرموت واقليم ملح فى منطقة الجوف الجنوبى شرقى صنعاء ، وكانت لها عاصمتها المساه قرناو او كارنا باليونانية ، وكان لها نظامها الادارى وكان عليها ملك يسمى مزواد ، وكانت اشهر مدنها معين التى سميت المملكة باسمها يقال (مزواد معين) اى حاكم معين وكبير كهنتها .

وكان ملوك هذه المملكة يتوارثون الحكم ، وقد استطاع علماء الاثار ان يعثروا على اسماء هؤلاء الملوك على انقاض منطقة الجوف ، وعددهم ٢٦ ملكا ، اولهم اب يدع ، وآخرهم يثع كرب . وكانت اليمن على ايام المعينيين تنقسم الى محافد وكانت هذه

المعابد تشتمل على عدة قصور ، والقصر كالحصن يحيط به سور مرتفع ويستعمل سكنا للملك او الامير .

ولقد كان اثر اتصال اليمن بآشور وبابل واضحا فيما اقامه اليمنيون من قصور ومعابد وهكذا اذا قلنا ان معين كانت دولة لها ملك ، وتدار بطريقة مجلس شورى مؤلف من شيوخ المدينة واعيانها كان ذلك يعني حضارة قائمة من قبل ذلك بالف عام على الاقل .

ولقد نشر " رودكانيس " نصوصا قتبانية وشرحها ، وتكوف هذه النصوص من نظام سياسي معقد ، لا يوحي ابدا بانه كان نظاما بدائيا من نظم القبائل ، فنحن نقرا في هذه النصوص اخبار ندوات للشورى يتداول فيها المجتمعون وجوه الراي على غرار هذه الندوة التي عقدتها بلقيس ملكة سبا حين دعاها سليمان الى الاسلام لدينه ، والتي نجد لها اشباه في دساتير اليونان هذا المبدا الذي اسماه رودكانيس " مبدا الاعلان " ، وهو ما جرى عليه القوم من نقش قرارات هذه الندوة على الحجارة ، ووضعها حيث يمكن لكل انسان ان يقراها ، ومعنى ذلك كما يقول مرجليوث كان مجتمعا متحضرا ذلك الذي قام بمملكة معين ، له نظمه السياسية ، التي تدل على قدر من الرقي ، لم يكن من الممكن بلوغه الا على مراحل سابقة قديمة ، واقدم من ذلك بآلاف الاعوام .

اعود فاقول ان معين المدينة كان لها تخطيط وبها شوارع ممهدة ، علاوة على هذا النظام الاداري والنيابي الذي شرحناه ، مما يدل على ان الحضارة اليمنية اقدم من هذه الدولة المعينية بكثير ، وانه لابد قد مرت الف عام او الفين قبل ذلك حتى يكتمل لها كل هذا .

وان هذه الحضارة اخذت تتقدم عاما بعد عام حتى وصلتنا اخبار معين كما نكتبها اليوم ، دولة بها عدة مدن كبرى مثل قرناو العاصمة ، ومعين وبراقش وبها العديد من المعابد والقصور . سنت القوانين التي تجبى بمقتضاها الضرائب على غرار قوانين حامورابي ودولته الحامورابية ذات الاصل اليمني .

ولها ميزانيتها التي تتكون مدخولاتها من الضرائب على التجارة والزراعة ، ومخرجاتها من الاموال التي تنفق على العمران والخدمات كبناء الابراج والحصون والمعابد والطرقات وشق القنوات للري .

كما ان لها نشاطها التجاري الذي امتد شمالا حتى اعالي الحجاز ، وامتد

شرقا على شاطئ الخليج حتى العراق. واشتد قربها حتى مصر القديمة .

والمعروف ان اليمنيين نزلوا قفط المصرية ، متاجرين في البداية ثم ملكوها اجيالا وكانت مركزا تجاريا تفد اليها قوافلهم القادمة من اليمن فالقصير فقفط ، حتى اصبح اهل قفط اكثرهم من اليمن .[1] Sharpe I 200

ثم قامت مملكة سبأ . هذه التي ورثت مملكة معين فيما بين عامي ٩٥٠ — ١١٥ ق.م. وآلت اليها سيادة الجزء الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب . والامم مثل الافراد ، لها أجل موقوت ، "ولكل امة اجل ، فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ." (الاعراف ٣٤)

وكانت مملكة سبأ كما يدلنا القران الكريم ذات حضارة عظيمة ، اهتم بها المولى عز شانه ، حتى ان سورة كاملة من كتابه سميت باسمها (سورة سبأ) ذلك ان الخالق جل وعلا اراد ان يعلم المسلمون في كافة انحاء الارض ان حضارتهم نابعة من شبه الجزيرة ، وانها ليست مجلوبة من الغرب ، وان الله حين شاء ان تشع رسالته من بلاد العرب ، كان يمهد هذه المنطقة من العالم لكي تتلقى مثل هذه الرسالة ، حكمة الله في علاج امر هذه الامة المسلمة وتربيتها واعدادها للخلافة الكبرى .

علم اهل الجنوب في شبه الجزيرة ، فاحسن تعليمهم ، ووصف بلدهم بانها بلدة طيبة (والبلدة الطيبة يخرج نباتها باذن ربها) ، وانها كانت آية ، وان ارضها كانت جنتين عن يمين وشمال ، وان ملكتها كانت مثل نبي الله سليمان ذاته ، "أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ."

بلغت اليمن في ايام السبئيين الذ شأوا عظيما ، بلغ فيه الاستقرار الزراعي مداه هذا الاستقرار الذي قلنا انه السبب في قيام الحضارات ، كما بلغ فيه النضج الزراعي غايته ، والتقدم التجاري اقصاه الى الحد الذي كان اليمنيون في هذه الدولة يلقبون "بفينيقي الجنوب" تمييزا من الغرب لفينيقيا الرومانية والحقيقة ان فينيقيا كان هي التي يجب ان تسمى يمن الشمال .

يصف الجغرافي الافريقي "اراتوثينس" (القرن الثالث ق.م) السبأيين وتقدمهم التجاري هذا ، كذا يصف عاصمتهم (ماريابا) ، كما يصف اقواما ثلاثة اخرى المعينيين ، والقتبانيين ، والحضارمة ، ويقول ان هذه الاقوام كانت تسكن جنوب شبه الجزيرة .

ويستفاد من الاثار — التي اكتشفت مؤخرا — ان هذه المملكة سيطرت على كل شبه الجزيرة العربية وانه تعاقب على حكمها ثلاثين ملكا ، كانوا يلقبون احيانا

" مكرب " ، وكان اشهرهم يشعمر ، ولدمار على ، وسمهعلى ٠

وكان ملوك هذه الدولة يلقبون بالقاب مختلفة عن القاب ملوك معين وهـى " وتار اى المظـم ، وذرح اى الشريف ، ويمين اى الممتاز ، وينوف اى السامى ، ويوهنعم او المحسن ٠"

وفى العصر الاول من حكم السبأيين كان ملوك سبا يلقبون " بملوك سبا " وكان يظن فى السابق ان هؤلاء طبقة من الكهنة حكمت اليمن قبل حكم ملـوك سبا ، ولكن البحوث الحديثة اثبتت ان الملوك والمكاربة عاشوا فى عصر واحد وان مكرب هذا كان اسما لمن يحتل وظيفة ادارية عليا تشبه رئيس الوزراء عندنا ولقد تميزت هذه الفترة السبئية الاولى بحضارة بنائية ضخمة ، كما تميزت بسلسلة من الحروب المحدودة ، بين سبا ، وقتبان ، وحضرموت ، وولايات اخرى صغيرة فى الجنوب من شبه الجزيرة ، اشبه بالغارات يموت فيها واحد او اثنين٠

ودعم ملوك سبا الاسطول التجارى الذى اقامه المعينيون ٠ ووطدوا ما كان مع مصر من علاقات ، فاتصال مصر باليمن كان قائما من قبل دولة سبا ، فى الدولة الوسطى (٢٠٠٠ قم) ، وازدهرت هذه الصلة فى الدولة الحديثة (١٥٠٠ قم) وفى عهد الملكة حتشبسوت بالذات التى عنيت اشد العناية بالتجارة الخارجية ، والرسوم التى نشاهدها حتى اليوم من حول سفن حتشبسوت التجارية ، تثبت انها سارت فى البحر الاحمر جنوبا ، وانها خرجت الى المحيط ، وانها حملت المر واللبان والطيب من بلاد اليمن ليستعملها قدماء المصريين فى طقوسهم الدينية ، وفى وصفاتهم الدوائية ، وفى اعمال التحنيط٠

ولعل المعينيين قد عرفوا ذلك منهم ، ولعلهم قد استعملوا نفس النباتات والاعشاب التى استعملها قدماء المصريين واستوردوها من اليمن ، يثبت ذلك هذه المومياوات التى اكتشفت مؤخرا فى منطقة الفراس باليمن ٠

والثابت انه قد وجدت نقوش معينية على جدران معابد مدينة قفط المصرية القديمة ، تثبت ان المعينيين القدماء قد ملكوا هذه المدينة المصرية اجمالا حتى صار اهلها كلهم من العرب ٠(Sharpe I , 200 II 90,186)٠
والثابت ايضا ان علاقة اليمن بمصر القديمة كان لها تاثيرها الواضح على مجريات الامور باليمن ، جعلهم ينصبون فى القادم من الزمان ملكة على بلادهم كما كانت حتشبسوت تلك لا يجدون حرجا فى ذلك٠

كما جعلهم يبنون السفن على غرار ماكانت تبنى من سفن ، ولكنها من الخشب بدلا من البردى خطوة جديدة فى تاريخ الاساطيل البحرية ، كما جعلهم ايضا لا يجدون حرجا من ان تشغل النساء اعلى مناصب الدولة كاحدث الدول حاليا .

والثابت كذلك انه كانت هناك صلات علمية كاقوى ما تكون بين مصر و اليمن هذه الصلات القوية التى مكنت اليمنيين من الاطلاع على اسرار التحنيط المصرية ودليلنا هذه المومياءات التى اكتشفت مؤخرا فى مدينة الغراس والتى سوف يعقبها دون شك اكتشاف الآلاف من مثلها . والتى تريبنا ان اليمنيين القدامى عرفوا ايضا علم التشريح لانهم مارسوا التحنيط الذى يستلزم معرفة باجزاء الجسم المختلفة وخاصة الاحشاء ، كما يستلزم معرفة تامة بالكثير من الاعشاب وخواصها الكيماوية .

والثابت ايضا ، ان هندسة الري المصريه وهندسة الرى اليمنية اتفقتا منذ هذا العصر البعيد . واثر هاتين الحضارتين كل فى الاخرى واضح ، لا يمكن ان ينكره احد ، ولا سيما اذا قورنت نظم الرى اليمنية بمشروعات الري فى الفيوم .

هذا من العلائق العلمية بين مصر القديمة واليمن ، اما من العراق . فالثابت ايضا انه كانت هناك علائق علمية معروفة بين اليمن القديمة وبين حضارة العراق السومرية والاشورية والبابلية والاكادية . وان الابجدية المعينية والسبئية تأثرت بالابجدية البابلية واثرت فيها . وانه كانت هناك علائق حضارية بين اليمن والمدن الفينيقية تأثرت بها واثرت فيها ، فيما يختص بالشئون التجارية وقد سبق ان سقت لكم حديث هيرودوت بهذا الخصوص .

والثابت بعد كل ذلك انه كما تأثرت الحضارة اليمنية القديمة ايام معين وسبا بالحضارات المحيطة بها شرقا وغربا وشمالا ، فانها قد اثرت فيها ايضا نتيجة لاتصالها التجارية باسواق مصر والعراق والشام .

وان اليمن قد تفاعلت بالاحداث السياسية من حولها كالنزاع بين آشور وبابل ومصر والنزاع بين مصر والروم ، وظهور دولة اكسوم فى الحبشة .

بل انها ايضا تأثرت بالافكار والرسالات من حولها ، فكانت تعبد الشمس كما يفعل المصريون القدامى ، وكان من ملوكها (عبد شمس) هذا الذى يقولون انه غزا الحبشة ، وتوغل فى افريقيا حتى تشاد ، وانه غزا مصر ايضا ، وانه هو الذى بنى سد مأرب .

وكانت تعبد بعلا ، وايل ، كما كان يفعل البابليون ، وعبدت عشتروت واحتها

مشتار ، كما كتبان يفعل الفينيقيون ، وعبدت القمر واسمته الوقا ، وكان منها من دان بالمهودية بعد ذلك متاثرين بهذا الدين الذى ظهر فى بلاد الشام ، وكان منها من دان بالمسيحية بعد ذلك متاثرين بأباطرة الرومان .

كانت تباشير التوحيد تطلّ الانق ، واستجاب السبئيون لندائها ، كما حاول اخناتون ان يفعل من قبل بمصر ، يقولون انهم عبدوا الها واحدا منذ القرن الرابع قبل الميلاد واسموه الرحمن ، او اله السماء .(Ency.Br. II

وهكذا كان السبيل ممهدا ، لكى تدين اليمن بالديانة الاسلامية بعد كل ذلك متاثرة باهلها وابناء عمومتها من سكان الحجاز .

ايها الاخوة الاحبة ...

لن امل التكرار انه كانت هناك حضارة يمنية قديمة منذ اقدم العصور منذ سبعة آلاف عام ، منذ قحطان ويعرب ، ويقول البعض قبلهما حينما حدث اول استيطان جماعى لشبه الجزيرة ، كما يقول معى بذلك اتونى ناتنج ايضا ، واتصلت هذه الحضارة ، بالحضارات من حولها فى العهود التاريخية المعروفة ، ثم اتصلت بها بعد ذلك عن طريق المعاملات التجارية وكان اسطولها يجوب المحيط الهندى حتى الهند ، ويجوب البحر الاحمر حتى الشام ، ويصل الى اليونان فى البحر الابيض .

وان هذه الحضارة بنت اعظم السدود ، سد مارب ، واقامت نظاما للرى اخذته عن مصر او اخذته مصر عنها يعيه تماما نظام الرى فى اليوم القديمة .

وكان لها جيش ، ليست مهمته الحرب فى الغالب الأعم ، كما يتوهم البعض حين يسمعون به ، وانما كانت مهمته تأمين القوافل البرية ، وتامين طرق التجارة فى شبه جزيرة العرب كما يحكى لنا القران الكريم . " وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالى واياما آمنين ." (سبا آية ١٨)

كما عقدت المعاهدات بين اليمن وبين الدول المجاورة لها لتامين مرور هذه القوافل التجارية اليمنية . ويخطىء الكثيرون حين يظنون ان اليمن القديمة كانت تدفع الجزية للكوشيين ، فلقد اتضح بعد ذلك ان تلك لم تكن جزية وانما كانت ضريبة متفق عليها بناء على معاهدة بين سبا وبين جاراتها نظير مرور القوافل التجارية ، اشبه بما نسميه اليوم بالترانسيت . وان تلك هى الطريقة التى عرضتها بلقيس ملكة سبا على سليمان " وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون (٣٥) فلما جاء سليمان ، قال

اتمدونن بمال ؟ فما آتاني الله خير مما آتاكم ، بل انتم بهديتكم تفرحون .(١)

وهكذا بلغت الحضارة السبئية الذروة ، وظهرت آثار ذلك غنى ومالا ورفاهية ، وقصورا ومصانع ، وهياكل ومعابد ، وصناعة أهمها السفن ، وصناعة الاسلحة ، يقال سيوف يمانية ، وصناعة السيراميك والاواني المنزلية .

وزراعة ، ساعد على قيامها نظام ري دقيق اعظم ما يكون دقة ، احالها الى جنة الله في ارضه ، بل جنتين ، وجعلها آية .

ومن دلائل الحضارة في ذلك العهد ، ان المراة كانت تتمتع بحريتها واستقلالها ، وكانت تتعاطى مختلف المهن ، في الوقت الذي كانت فيه المراة الرومانية اشبه بالمعبدة الموكلة بشئون المنزل .

والمعروف ان المراة اليمنية انخرطت في خدمة الدولة ، بل ووصلت الى ان صارت ملكة على هذه البلاد منذ عصور قديمة قديمة الامر الذي تفخر به دول من مثل بريطانيا في هذه الايام .

واذا نحن ذكرنا ذلك ، صعد الى عقلنا الظاهر ما يقولونه عن بلقيس ملكة سبا التي عاشت في القرن العاشر ، قبل الميلاد والذي نعتقد انه لا مبالغة فيه كما يزعم الغرب ، فقد وصفها القرآن ورب القرآن في محكم آياته انها اوتيت من كل شيء كما كان سليمان النبي نفسه الذي قال انه اوتي من كل شيء .

يقول المؤرخون العرب ، انه كان تحت يدها ، اربعمائة امير ، كل ملك منهم على كورة ، هم كانوا ملوكا الى الآن لهم اختصاصاتهم اللامركزية ، ومع كل منهم اربعة آلاف مقاتل ، اقول ان ذلك ليس بمستغرب ، اذا قدرنا انها كانت تحكم شبه الجزيرة كلها ، ذلك يعني انه كان في شبه الجزيرة من اقصاها الى ادناها ٤٠٠ مخلاف ، على راس كل واحد منها ملك او امير ، تحت يده جيش من اربعة آلاف مقاتل .

اقول ان ذلك ليس بكثير فقد احصى اليعقوبي في جنوب شبه الجزيرة فقط ٨٤ مخلافا ،(٢) كل منها فيه مدن ، ومصانع وقرى وفيه الاودية والجبال والسدود واشهر هذه المخاليف التي احصاها اليعقوبي ، شهوة ، ومارب ، والمعافر والسحول ، وذي رعين ، ورداع ، وذمار ، وحراز وهوزن ، وحضور ، واقيان وخولان . كما عدد اشهر المدن باليمن اذ ذاك ، مارب ومعين ، وصرواح ونجران ، وصنعاء وشبوة ، وشبام ، وتريم ، وظفار ، وحيران وميفع ، ومعظمها

---

(١) النمل اية ٣٥ ، ٣٦
(٢) الهمداني — صفة جزيرة العرب .

تهـدم قبل الاسـلام .

اعـود فاقول ان هذه الحضارة اليمنية السبئية التى وصلتنا كتاباتها وآثارها منذ الالف الاولى قبل الميلاد ليست هى اول الحضارة اليمنية كما جاء بكتبكم التاريخية ، التى بدات بها ، ذلك لانها حضارات مكتملة ، ذات دولة واضحة جدا وضرائب ومجلس للشورى ، لا يقطع الملك فيه بامر حتى يشهد ذلك المجلس .
" قالت يا ايها الملا افتونى فى امرى ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون" (النمل ٣٢)
ولابد ان هذه المملكة استغرقت آلاف السنين حتى وصلت الى ما نعرفه اليوم.

اقـول ان عمر هـذه الحضارة اليمنية القديمة يربو على سبعة آلاف عام .

وباقتراب الميلاد عام ١١٥ ق.م قامت دولة حميـر .وانتقل الحكم من مـارب عاصمة سـبا الى ريدان (ظفـار) عاصمة حميـر .
يقول (بلليني) انه كانت هناك مملكة غاية فى الثراء تسمى سبا ، وكانت هناك مملكة غاية فى العـدد تسمى حميـر ، ولكنه منذ القرن الرابع الميلادى اختفت كلمـة سبا ، واصبحت مملكة حمير تطلق على كل الجنوب الغربى من شبه الجزيرة ، كما يتحدث كتاب (Periplus of the Erythrean sea) من مملكة تحـدة اطرافها سـبا وحمير ، وعاصمتها ظفـار .

وحميـر كما يقول النسابة العرب ، ولد سبا او عبد شمس الذى غزا شبـه الجزيرة كلها ومصـر والشام والعراق والذى سمى سبا لكثرة سبيـه .
وخلف سبا عدة اولاد اشهرهم حمير وكهـلان . ولا شك عندى ان حمير ولـد سبا ليس مؤسس الدولة الحميرية ، فبيـن دولة سبا ودولة حمير سبعة قرون .
ولكن مؤسس الدولة الحميرية بهذا المعنى هو احـد احفاد حمير وليس كهلان .

وكان كبير الحميريين يسمى (ذو ريدان) ، ولما شعر الحميريون بقـوتهم حاربوا ملوك سبا ، وهزموهـم ، واصبح لقب ملكهم (ملك سبا وريدان) ، ثـم لما ملكوا حضرموت ، لقب الملك بملك سبا وريـدان وحضرموت ، ولمـا اخضعت كل المنطقـة لحكمهم اصبح الملك يلقب بملك " سبا وريدان وحضرموت ويمنات " كمـا اطلق على هؤلاء الملوك التابعة . نسبة الى كبيرهم تبـع .

وانتشرت على ايـام هؤلاء الملوك صناعة سك النقود ، الذهبية والفضيـة والنحاسية ، ونقشت على هذه النقـود صور الملوك ، واسماء المدن التى ضُربت

فيها ، وسنة الضرب ، وتوجد مثل هذه المسكوكات فى متحف فينا (Muller 67)

ويتبين من هذه الصور المرسومة على هذه النقود ان ملوك اليمن كانوا يرسلون شعورهم على جانب رؤوسهم ولم يكونوا يطلقون لحاهم ، وكانوا من حيث الهيئة يشبهون المصريين : دليل جديد على عمق اتصال الحضارة المصرية واليمنية .

وكان التبابعة يركبون العربات الحربية ، تجرها الخيول ، اشبه بعربة رمسيس التى نعرفها اليوم ، ونراها على آثارنا المصرية القديمة ، ولكن عربات اليمن كانت تجرها الافيال احيانا ، يمتطيها الملك يحمل رمحا فى يده ، وترسا فى اليد الاخرى ،ولقد قص علينا ثيوفان قصة الوفد الذى ارسله قيصر القسطنطينية الى ملك حمير ،وعلى راسه "يوليانوس" ، حين تقدم "يوليانوس" الى ملك حمير الذى كان يركب عربة حربية يجرها اربعة من الفيلة ، وانباه ان القيصر يرجو ملك حمير ان يرسل رجاله لكى يغزوا بالفرس بعيدا من بلاده ، ووعد ملك حمير السفير بانه سيفعل ذلك . (Sharpe , II 354) .

والعجلات الحربية تلك ، التى كان يركبها ملوك حمير والتبابعة نقلة حضارية فى فن الحروب ، الفت فيها وفى آثارها الكتب التى لم تذكر الحميريين .

وصلت اليمن على ايام الحميريين الى الذروة الحضارية ايضا ، كانت اعظم دولة تجارية استطاعت ان تسيطر على الملاحة الدولية فى البحر الاحمر والخليج والمحيط الهندى ، وامتد نشاطها الى شواطئ فينيقية ، ووصلت تجارتها الى البحر الابيض واوروبا ، مما اثار عليها حقد روما .

كانت اليمن مركز التجارة العالمية فى ايام الحميريين ، كان تجارها يحملون من جزيرة العرب ، الذهب والفضة والبشب واللبان والصمغ ، وعود الند ، ويحملون من البحرين اللالئ ، ويحملون من وادى السند اصناف المنسوجات التى يتاجر بها حتى يومنا هذا اهل تلك البلاد .

وكانوا يستحضرون من اقاصى الهند القرنفل والبهار والحرير الصينى والفولاذ والعاج والابنوس ، وكانوا كما ذكرنا ينقلون هذه الحاصلات والزراعات الى مصر ، عبر هذه الخطوط التجارية التى انشأوها مع رمسيس الثالث بين المحيط الهندى والنيل من طريق اليمن ، والتى عنى بها ايضا رمسيس الرابع (١١٦٦ق.م) الذى انشأ طريقا مختصرا الى اليمن .

كما نقلوا هذه البضائع الى الشام والعراق ايضا .

نقول ان سيطرة اليمن في ذلك العهد على التجارة العالمية أثار حقد الرومان ، فارسل قيصر روما حملة رومانية بقيادة ماركوس اليوس جاللوس (٢٤ـ٢٥ ق م) ،وكان حاكما على مصر ، واغراه بما كانت تتمتع به اليمن من ثروات ، وفُقدت الحملة في اعقابها قبل ان تصل الى اليمن ، وعاد قائدها الروماني جاللوس بخفي حنين في انسحاب مروع فقد فيه اغلب جنوده .

وانه لمن الجدير بالذكر ان اخبار هذه الحملة عرفت من حوليات الرومان واختفت قصة من اعظم قصص البطولة اليمنية ، اذ اننا لم نجد حتى اليوم على آثار اليمن القديمة او في نقوشها ما يشير الى هذه الحملة ، دليل على ان الحملة لم تصل الى قلب اليمن ، ولم تكن سوى فرقعة رومانية ، استطاعت قوات حمير ان تردها على اعقابها دون ان تترك اثرا على ارض اليمن ذاتها .

عرف الرومان اليمن اذن ، واسموها اليمن السعيدة ، لكثرة الخيرات فيها وطمعوا فيها ، والثابت ان اليمنيين اتصلوا بالرومان في تجارتهم بالبحر الابيض كما عرفوا عنهم وعن الفينيقيين نظام النقود منذ القرن الرابع قبل الميلاد ، كما اخذوا عنهم بعض الفنون ، كالسيراميك ، الذي صنعوا منه العديد من الاواني التي كانت تزين قصورهم . منذ القرن الاول قبل الميلاد .

وكان للحميريين ايضا حضارة زراعية حارت بها الركبان ، كانت الافراس كما يقول ياقوت والهمداني ، والرياحين ، والاشجار والحنطة ، والفاكهة والازهار تملأ كل مكان ، وليس ذلك بمستغرب فقد كانت اليمن من اول البلاد التي جرى فيها استيطان زراعي كما ذكرنا . على الرغم من انه لا نيل فيها ولا فرات ، مما جعلنا نسوق لكم نظريتنا المستحدثة من انه ليس مهما قيام الانهار او احواضها لقيام الحضارة ولكن المهم هو الاستيطان الزراعي كما حدث باليمن .

وهكذا انشأ اليمنيون السدود اول من انشأ السدود ، وزرعوا العود والبخور والمر والقرنفل والبلسم وسائر العطريات . فضلا عن الحنطة والشعير .

[illegible] يصف الهمداني وادي ضهر وما به من اعناب ، والخوخ الحميري ، والتين والفرسك والاسام والبرقوق ، والتفاح والجوز واللوز والسفرجل والرمان .

الم اقل لكم انها كانت جنة الله في ارضه بل جنتان ، يقول الهمداني انه راى كل ذلك بعينيه وانها كانت موجودة قبل ايامه بكثير .

وليست هذه الحاصلات الزراعية فقط هي التي كانت تعمر بها ارض اليمن

ولقد كانت جبالها غنية بمعادنها كذلك ، تشهد قصورها بما كان في جوف ارضها تلك من ذهب وفضة ، ونحاس حتى انه قد النت كتب خاصة في معادن اليمن وذهبها (Burton ; Mines . 88: I44).

كما ذكر الهمداني وياقوت مناجم الذهب العديدة باليمن ، ومنها منجم الذهب نس يش ، من مخاليف اليمن ، ومعدن نقاة باليمن ، ناهيك بذهب خولان السوارد في التوراة .

كما انه توجد في اليمن مناجم اخرى لسائر المعادن ، كمعدن بيشة ومعدن السعداو بجوار صنعاء ، مما يجعلنا نشير على حكومتكم الرشيدة بانشاء وزارة للثروة المعدنية باليمن تعيد البحث واستثمار هذه المعادن .

اقول تحتاج العمارة في الحضارة اليمنية الى كتاب وحدها .

انشا اليمنيون القدامى المدن ، مثل مارب ، ومعين ، وبراقش وظفار وشبوة ونافط وبينون وصنعاء . ، وكان بكل واحدة من هذه قصور يقيم بها الادواء او اقيال ، ومعابد وهياكل للعبادة ، وقد تحتوى المدينة الواحدة على العديد من هذه القصور والمعابد التي تشبه معابد قدماء المصريين كما يقول استرابون ولقد ذكر بلليني ان في مدينة تاجية وتمناء باليمن وحدهما ٦٥ معبدا ، كما ان في شبوة ٦٠ ستون هيكلا (Glasser/ II : 88)

ولعل مما ادخله اليمنيون القدامى على تخطيط المدن فكرة الدائرة ، فالمدينة كانت على ايام المصريين القدماء واليونان كذلك مربعة الشكل او مستطيلة ، ولكن التامل في تخطيط مدينة مارب القديمة يراها مستديرة الشكل ، وهكذا سبق اجدادنا اليمنيين الى ذلك كما سبقوا الى هذه القصور الفخمة المبنية بالرخام كقصر سلحين والهجر ، وقشيب .

ولقد شاهد الهمداني بنفسه انقاض قصر غمدان ، وانقاض سد مارب في القرن العاشر ، ووصف في الاكليل عرش بلقيس ، الذى نعته رب العرش بانه عرش عظيم . يقول الهمداني ، " انها لا تزال قائمة — الانقاض ولو اجتمع جميع على ان يصرعوا واحدة منها ، لم يقدروا ، لان كل عمود منها نقبوا له في الصفا ثم القم اسفله ، وصب بينه القطر . يقول تبع :

ومآرب قد نطفت بالرخام وفي سقفها الذهب الاحمر

كانت اليمن اغنى دول الارض في ذلك الزمان ، ومن اجل ذلك أطلق عليها اليونان اليمن السعيدة ، واسماها العرب من قبلهم باليمن من اليمن والاقبال .

وما جاء في وصف قصور اليمن اصدق مثل على هذا الثراء ، ولقد كان المؤرخون يظنون ان العرب قد بالغوا في وصف هذه القصور الى ان حدثنا (جلازر وهاليفي) من انقاض هذه القصور بعد ان شاهدوها باعينهما وقالوا ان ما كتبه الهمداني عنها في كتابه الاكليل[1] بعد ان شاهدها هو الاخر بنفسه ، صادق كل الصدق ،واشهرها قصر غمدان الذى يقول الهمداني عنه انه كان عشرين سقفا ، غرفا بعضها فوق بعض ، بين كل سقف وسقف عشرة اذرع والذى يقول فيه الشاعر[2] ،

يسمو الى كبد السماء مصعدا   عشرين سقفا سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصب بعمامة   ومن الغمام منطق ومؤزر
متلاحكا بالقطر منه صخره   والجذع بين صروحه والمرمر

والذى يقول عنه ابن ابى ربيعة ،

لعمرك ما جاوزت غمدان طائعا   وقصر شعوب ان اكون به صبا

كانت اليمن اذن ، وبهذا المفهوم اول من بنى ناطحات السحاب ، وكان شاعرها العلهم اول من اطلق هذا الاسم على بناء مرتفع معصب بعمامة من السحاب.

وقصر ناعط ، وهو معقد مكون من عدة قصور ، قال الهمداني في وصفه انه كان صنعة بيضاء (مدورة) ، وما بها قصر الا وتحته كريف ،(صهريج) للمياه مجوف ، في الصخر ، وفيه الاسطوانات العظيمة طول كل واحدة نيف وعشرين ذراعا ولا يحضن الواحد منها الا رجلان ، وفيها بقايا مسامير حديد قيل انها مراقي الى رؤوسها ، اضيف ان ذلك امر متقدم يحتاج الى صناع مهرة .

يقول الشاعر : عنه ،

فمن كان ذا جهل بايام حمير   واثارهم في الارض فليأت ناعطا
يجد عمدا تعلو القنا مرصعة   وكرسى رخام حولها وبلائطا
ملاحكها لا ينفذ الماء بينها   مموهة مثل القراح خرائطا

واستدارة هذا البناء لابد تسترعى انتباه الباحث المتخصص في فن العمارة فقد يكون ذلك القصر اول بناء مستدير قبل البارثينون في روما .

وقصر بيدة ، وقصر تلقم ، ومعقد مدر وهو مكون من اربعة عشر قصرا شاهدها الهمداني ايضا ، وقصر صرواح ، وله ذكر في اسفل العرب ،يقول علقمة،

من يامن الحدثان بعد   ملوك صرواح ومارب .

---

(1) الاكليل ، هو اجمع كتاب في وصف معاند اليمن ومساندها ودقائقها ، ولم يعثر العلماء الا على جزء منه ، ونشره المستشرق ملر وعلق عليه .

(2) الاغاني ١٣٦/١٠

انني اسوق اليكم هذه الابيات من الشعر عامدا ، ولسوف اسوق ابيات الشعر ابدا في محاضراتي ، لان العرب جعلوا الشعر ديوانا لاخبارهم وحكمهم ، وشرفهم ومحكا لقرائحهم ، في اصابة المعاني واجادة الاساليب . (الاغاني ١١/١).
ومن اجل ذلك نقول ان المستشرقين لا يجيدون كتابة تاريخنا ، لانهم لا يجيدون تذوق شعرنا العربي ، وهكذا لا يحسون المعاني ولا يجيدون الاساليب .

وليست القصور وحدها دليل عظمة البناء في اليمن القديمة ، فاهلها قد شيدوا الانفاق في الجبال ، مثل باب فرن وقطع مضنون ، وهذه من اول انفاق الجبال التي شيدها الانسان .

ولقد اقاموا السدود اول من اقام السدود ، وهي جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الاودية ، لم تكن الحضارات الاخرى في حاجة ماسة اليها لتوفر مياه الانهار كالنيل او الفرات ، اما في اليمن وكانت الحاجة شديدة عند العيد لاقامة هذه الجدران لحجز السيول ورفع المياه ، فقد اقاموها سدودا ركامية كاحدث السدود في القرن العشرين .
وذكر الهمداني في واحدة فقط من مخاليف اليمن (يحصب) ٨٠ سدا .
وفي ذلك يقول الشاعر :
وبالبقعة الخضراء من ارض يحصب ثمانون سدا تقذف الماء سائلا
ومن اهم هذه السدود ، قصعان ، وريوان ، وشمران ، وطمحان ، وسد عباد ، وسد لحج ، وسد سحر ، وسد النواس ، وسد ذي شهال ، وذي رعين وسد نقاطة ، وسد نضار ، وسد الشعباني ، وسد الطيكى ، وسد المهاد .
ولكن اشهر سدود اليمن قاطبة هو سد مارب ، ثم سد الخانق بصعدة وسد ريمان وسد سريان ، وسد شبام قرب صنعاء على بعد ثمانية فراسخ منها .

واليمنيون قد شيدوا الابراج منذ القدم ، قبل برج ايفل وبرج بيزا وبرج القاهرة ، كما شيد البابليون برج بابل ، فالهمداني يقول ، ومن اشهر مدن طسم وجديس القرية في اليمامة ويقال لها "خضراء حجر" ، وهي حاضرة طسم وجديس فيها آثارهم ، وحصونهم ، وتيلهم ، (جمع تيل) ، وهو بناء مرتفع مثل الصومعة ، مستطيل في السماء من طين ، وقد رآه المسلمون في القرنين الثالث والرابع ، وذكر احدهم انه ادرك تيلا طوله ٥٠٠ ذراع ، ولعل زرقاء اليمامة ابصرت بجيش تبع من احدها . (الهمداني ص ١٤٠).

واذا كان السومريون اول من عرف من بناة المدن قبل التاريخ ، منذ ٧٠٠٠ سنة ، فلقد بينا كيف انهم اختلطوا بالهجرات اليمنية القادمة من الجنوب ، وكيف نشأت بذلك حضارتهم البابلية ، وكيف ان دولة حامورابي دولة يمنية الاصل كانت تسمى (عربي) ، ، وكيف ان هؤلاء البابليين ابتنوا الابراج العالية على الطراز اليمني ، او ان اليمنيين ابتنوها على الطراز البابلي ، ذلك اننا نعرف ان من اشهر ابراج التاريخ برج بابل .

ولست ادرى لماذا يعرف الطلبة في كل الدنيا ويعرف الدارسون برج بابل هذا ولا يعرف احد ، حتى طلبة اليمن ، قصر غمدان في صنعاء ولا حتى يذكره ، وقد قيل انه كان ممتدا الى ٥٠٠ ذراع في السماء ، وانه أول اعلى برج في التاريخ كما لا يذكر القاصون وهم يحكون من زرقاء اليمامة انها وقفت فوقه لترى جيش تسع من بعيد .

ايها الاخوة الاحبة ...

نصل الان الى القرن الاول قبل ميلاد المسيح ، وفيه اختفت كلمة (مكرب) ، ولم يعد ملوك اليمن يختارون اسماءهم من بين اثني عشر اسما محددة تتكرر في تاريخ اليمن القديم فتزيد من صعوبته ، ويبدو ان تلك كانت من سمات العصر اخذها اليمن من فارس او اخذها الفرس من اليمن ، فيقول ابن الاثير في كتابه الكامل ، كان بين افريدون وجمشيد الملك ، كما يروى الفرس ، عشرة آباء كلهم يسمى اثفيان ، وانهم لم يكونوا يتميزون الواحد من الاخر الا بالقاب لقبوها ، يقال لاحدهم اثفيان صاحب البقر الاحمر مثلا ، واثفيا ن صاحب البقر البلق ، واشباه ذلك .

ويبدو ان اليمن تحررت تماما من تسميتها الثقافية او الادارية لفترة حينئذ واصبح ملك اليمن يسمى ملك سبأ ، ثم صار يلقب بملك سبأ وريدان ، والغالب ان المقصود بريدان كان هذا الجبل المسمى بجبل ريدان بالقرب من ظفار ، او وادي ريدان ذاته مما يدل على ان سبأ وقتبان قد اتحدتا في مملكة واحدة .

وكانت هناك علائق بين ملوك سبأ وقبيلة همدان في المرتفعات ، وهناك كتابات اتتنا من هذه المنطقة المرتفعة مما يدل على ان الثقل السياسي انتقل من الوادي الى الجبل ، وفي هذه الفترة ابتدأت تظهر كلمة حميريين واعراب.

ولقد كانت اليمن كما هو واضح مما قلناه الان تنقسم الى قسمين ، قسم مرتفع من الارض ، هو جبال اليمن ، وقسم منخفض يقع الى الشرق والى الجنوب الشرقى من هذه الارض المرتفعة ، ويتكون اساسا من الجزء الضيق لوادى اضنه هذا الوادى الذى يخترق جبل بلق ، ويتلاشى فى رمال الربع الخالى بعد ذلك والى اسفل هذه الفتحة فى جبل بلق تقع مارب عاصمة سبأ ، وقليلا الى الغرب تقع صرواح التى تحتل الاهمية الثانية بعد مارب .

وكانت مارب تستمد اهميتها منذ اقدم القدم لوقوعها فى المكان الذى يخترق فيه الوادى جبل بلق ، فهى قديمة قدم هذا الجبل ، وادرك اليمن هذه الاهمية سواء ايام القحطانيين ، او المعينيين او السبئيين كما ادرك بانى السد - الذى تختلف كل الروايات من حوله - وعندى انها كلها صادقة فقد حاول كل منهم ان يزيد عليه ، اقول ادرك الجميع انه يمكن بناء سد عظيم فى هذه المنطقة ، ينظم الرى فى الوادى ويحيل هذه البقعة الى جنتين عن يمين وشمال ، ويحيل هذا البلد الى بلد طيب يخرج نباته باذن ربه .

هذا السد الذى خلده القرآن ، والذى تهدم بعد ذلك نتيجة سيل العرم والذى تأثرت الحضارة اليمنية ، والزراعة اليمنية ، والثراء اليمنى بسبب خرابه والذى تسبب هذا الخراب فى هجرات اخرى الى الشمال من اشهرها الغساسنة والمناذرة والذى حاول اليمنيون اصلاحه مرتين على الاقل فى خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، والذى ارجو ان يصبح اصلاحه هدفا قوميا موقوتا بزمن ، وخاصة ان المنطقة باسرها يجتاحها الجفاف ، والذى اعرف ان حكومتكم الراشدة عاملة على اصلاحه وشيكا انشاء الله .

ما احب ان اخلص اليه ، وما اظنه ضروريا لكى اتحدث بعد ذلك عن الحضارة العلمية فى اليمن قبل الاسلام ، وما ارجو ملحا ان تكونوا قد اقتنعتم مثل اقتناعى به بعد كل هذا الحديث ، وما يجب ان يصبح كل يمنى مؤمنا به اشد الايمان واعمقه انه كان لأجدادى وأجدادكم (فآباء بعيدين لى ينتمون الى اليمن كما ذكرت فى كتاب آخر لى) كان لهم حضارة تمتد الى ابعد من سبعة آلاف عام ، وهى حضارة معاصرة للحضارة المصرية القديمة ، والحضارة البابلية والاشوريه ، والحضارة الفينيقية ، ان لم تسبق هذه الحضارات على قول .

هذه الحضارة التى كانت اصل كل حضارة فى شبه جزيرة العرب كلها ، انبنت عليها حضارة العرب كلهم منذ كانت هناك علاقات شوانق بين عرب الشمال وعرب الجنوب

وصلات ونسب ولغة وتقاليد وجوار ٠

وكان لاجدادى وجدودكم لغة قريبة من لغة مصر ، هى السبئية او الحميرية ، قريبة من لغة العراق ايضا ، وكان لهم خط قريب من العربية هو المسند وكان لهم فوق كل ذلك وبعد كل ذلك ، حضارة وسطانيه بين حضارة الهند فى الشرق وحضارة آشور وبابل فى الشمال ، وحضارة فينيقيا و البتراء فى الشمال الغربى وحضارة مصر فى الغرب ٠

والخلاصة كما يقول لينورماند (Lenormand III 29) ٠

ان اهل اليمن حضر منذ اقدم العصور ،فهم اهل مدن وقصور ومعابد ، ومعابد وهياكل ، واساس ورياش ، وان اهلها منذ اقدم العصور لبسوا الخز وافترشوا الحرير واقتنوا آنية الذهب والفضة ٠ وافترسوا الحدائق والبساتين ٠

يقول اغاثر سيدس ، وللسبئيين والحميريين فى منازلهم ما يفوق التصديق من الانية و الاوعية على اختلاف اشكالها من الفضة و الذهب ، وعندهم الاسرة والموائد من الفضة والرياش من افخر الانسجة واغلا ها ٠

قصورهم قائمة على الاساطين المحلاة بالذهب او المزينة بالفضة ، يعلقون على افاريز منازلهم صحائف الذهب مرصعة بالفضة والجوهر ، ويبذلون فى تزيين منازلهم اموا لا طائلة ، لكثرة ما يدخلونه فى زينتها من الذهب والفضة والعاج والاحجار الكريمة ، وغيرها من المواد الثمينة ٠

اقول ان الامر لم يكن امر بناء فقط ولا معابد او قصور او معابد ، وانما كانت الدولة اليمنية ذاتها منظمة على احسن ما يكون النظام الادارى ، على رأسها ملك يعاونه رئيس للوزراء او كاهن اعظم ، وله مجلس للشورى قد يصل الى ٣٠٠ عضو ، وله امراء على سائر المعابد التى قد تصل الى اربعمائة ،وعنده جيش كبير وهم اولو قوة واولى بأس شديد ، " قالت يا ايها الملاافتونى فى امرى ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون ، قالوا نحن اولو قوة ، واولو بأس شديد ٠"

فالثابت اذن وجود هذا المجلس ، والثابت انه كانت له سلطات قائمة لا يمكن للملك ان يقطع امرا دون مشورته ، والثابت انه فى الملمات لم يكن الملك ليتأخر عن دعوته ، وهذه بلقيس كان لها كما كان لسابقيها مثل هذا المجلس وانها لم تتوان من جمعه وهى هددة على الحرب ، حين القى اليها الهدهد برسالة سليمان والثابت ان المجلس اشار عليها بالحرب ، معتزا بقوته وبأسه ، ولكن الدولة

اليمنيـــة لم تكن تحبذ الحـــرب ، فى ماضيها كمبـــدا ، كما انكم لا تحبون الحرب فى حاضـــركم ، وانتهت بلقيس ومستشاروها الى ضرورة الحـــل السلمى .
والقـــول الان كما تعلمون ابناءكم فى هذا الكتاب من كتب التاريخ بان ملك سبأ كـــان حاكما مطلقـــا ، قول غيـــر صحيح يعوزه الدليـــل .
اهناك بعد القرآن دليـــل ؟ اقول ان هناك اجماع بين كل مؤرخى العـــرب بانه كان هناك مثل هذا المجلس الاستشارى ، وانه كان مجلسا موسعا يستوعـــب كل الآراء ، مكونا من ثلاثمائة من الحكمـــاء ، يدل على ذلك هذا النقاش الواســع بين الملكة وبينهم ، وهذا القرار الحكيم الذى اتخذوه ، وانصياعهم لصـــوت العقـــل فى النهـــاية .
اننـــا لا نستطيع ايها الاخوة ان نلعب بالتاريخ ، ولا ان نهرب من الوقائع التاريخية المؤكـــدة والمتواترة ، مثل قصة سليمان وبلقيس تلك ، كما جاءت بالتـــوراة والقران ، والتى اخطات زمنها كتبكم التى يقراها اطفالكم .
اننا لا نستطيع الا ان نؤيد مع دائرة المعارف البريطانية ، انه كانت هنـــاك حضارة على درجة عالية من الكمال ، of a high order . فى ذلـــك الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة العربية . (Ency.Br. II , P I75
وان عرب الجنوب الحميريين ، كانوا اكثر ثقافة من عرب الشمال ابناء اسماعيل العدنانيين الضـــريين . وان الحضارة العربية قبل الاسلام تعزى اكثر الى هؤلاء اليمنيين الذيـــن كانوا يملكون مواهب اكثر وخاصـــة فى مجالات الشعر والفلسفة والعلوم الفلكية والطبيـــه

The Arabs Particularly the Himyarites possed contemporary gifts as poets , musicians ,philosophers, & in sciences specially Astronomy & medicine

Encycl. Br. II pI64

اننـــا يجب ان نقف عند هـــذه النقطـــة ، لندرك لماذا قامت المدارس جنوب شبه الجزيرة فى اليمـــن قبل الاسلام ، وان نقف عندها طويلا جدا ، هذا تـــاريـــخ يعلل لماذا كان عرب الشمال قبل الاسلام يرسلون ابناءهم لتلقى العلم باليمـــن .

بعد ذلك لا نستطيع ان ننفى نفيا باتا قاطعا كل ما جاء بكتب العرب من شمر وتبع اللذين قيـــل انهما غزيا الحيرة والرى وخراسان والصين والقسطنطينية حـــتى دفعت الاتاوة ، وروميـــة وسمرقند التى دخلها تبع غداغا كما يقول ابن الاثير .
انه قد يكون هناك مبالغة ما فى هذه الاخبار ، ولكن يبقى ان تبع هذا لاشك كان قائـــدا مغوارا ، مقداما ، وانه احرز بعض هذه الانتصارات . (الكامل جـ١/٢٤٤).

ايـها الاخـوة الاحبـه ،

ما يكاد القرن الثالث الميلادى ينتهي ، حتى تظهر وحـدة يمنية كبرى تحت قيادة ملك يمنى قوى يدعى شامر يوهاريش Shamir Yuharish والذى لقب بملك سبأ وريـدان وحضرموت ويمنات . ويبدو ان هذه الوحدة قد اصابها الفتور فلم اقل من قرن واحد ، فى منتصف القرن الرابع اصبح الملك هو اكسوم ملك الحبشة . ولكن ما كاد يمضى نصف قرن آخـر حتى عاد الاستقلال الى اليمن واصبح ملكهـــا يسمى ملك سبا و ريدان وحضرموت ويمنات مرة اخرى .

نقـول ان حضارة اليمن كانت مكتملة قبل الاسلام ، حتى وصلت الى درجـــة تصفها دائرة المعارف البريطانية بانها كانت على درجـة عالية من الكمـــال . وذلك رغم تآلب الحدثان على يمننا السعيد ، وعبوس الزمن ، واحتلال الحبشة ثم الفر س ، ولكن فى وسط ذلك الظلام تبدو اشراقة نور ، ويظهر سيف بن ذى يـــزن ويستنجد بكـــسرى ، فينجده بجند .تحت قيادة وهـر.ز ، ثم ما كان من امـــر اخراج الحبش وقهرهم ، ويكتب وهــرز الى كسرى يقول ،

" انى قد ملكت للملك اليمن ، وهى ارض العـرب القديمة التى تكون فيها ملوكهم . ومن رد كسرى عليه ، ان يملك عليها ابنها سيف بن ذى يزن وان يقدم هو عليه . ثم قتل الحبشان سيف بن ذى يزن بعد ذلك . يقول صاحب الاغانى ،

" ولــم يقم على الحميريـــن ملك حتى الاســــلام . "

ايـهـا الاخوة الاحبة ..

وما دمنا قد ذكرنا صاحب الاغانى ابو الفرج الاصفهانى ، دعونا نستمد منه دليـــلا على اكتمال الحضارة اليمنية فيما قبل الاسلام ، فمن الثابت ان عرب الحجاز كانـــوا يبعثون ابناءهم لتعلم الموسيقا فى اليمـن قبل الاسلام وبعد الاسلام .

وابن خلدون يقول ان مدرسة الموسيقى و الغناء لا تقوم ببلـد الا اذا توافر العمـران فيه ، وتجاوز حـد الضرورى والحاجى الى الكمالى . فـحدث هذه الصنـــاعة لانه لايستدعيها الا من فرغ من جميع حاجيات الضرورية والمهمة ، من المعـاش والمنزل وغيـره ، فلا يطلبها الا الفارغون من سائر احوالهم تفننا فى مذاهـــب الملذوذات . (الاغانى جـ١/ص ١١)

فرغ اليمنيـون من مبانيهم الضخمـة ، التى ما زالت بقاياها قائمة حتى اليـــوم ومن هذا النظام الفائق للرى الذى كان لهم منذ هذا الزمن البعيد ، والـــذى

اشــر فيه نظام الري في الفيوم المصرية وتأثر به ، والذى صير اليمن القديمة آيــة جنتان من يمين وشمال ، والذى وفر لهم غذاءهم من حنطة وفواكه وصفها الهمدانى كما اسلفنا .

وعرفوا من هذه الكتابات الكثيرة التي تركها لنا السبئيون والحميريون بلغـــة تختلف عن اللغة العربية ولها أبجديتها المميزة لسانها الذى يشبه اللسان المصري.

وعرفوا من تجارتهم وطرقها المؤمنة الآمنة ، مع الهند عبر المحيط هـــذه التجارة التي بلغت من القــدم حدا الله وحده يعرف مــداه ، وتجارتهم مــع الرتيمية على الشاطئ المقابل في الحبشة والصومال ، وعلاقاتهم الثقافية بهما ، هـــذه العلائق التي تشير الى ان الثقافة الحبشية كانت كلها مستقاة من ثقافة اليمن وليست ثقافة محليــة قائمة بذاتها ، ولو ان الحبشة غزت اليمن بعد ذلك .

وعرفوا من تجارتهم مع آشور وبابل التي يقولون ان الكتابة السبئية كـــانت متأثرة بكتابتها المسمارية ، والتي ترجع علاقتهما معا الى ٣٠٠٠ سنة ق م حيـــن هاجر اليمنيون القدامى ليقيموا دولتهم في الشمال في العراق .
والتي تدل على وجــود اصل مشترك بين اليمنيين وسكان الهلال الخصيب ، والكلدانيين كما كان هناك اصل مشترك بين المصريين واليمنيين في شبه جزيرة سيناء .

وعرفوا من تجارتهم مع الفينيقيين حين وصل تجار اليمن الى سواحل البحــر الابيض المتوســط ، وحين عرفوا الافريق بعد ذلك واختلطوا بهم وقال هيرودوت أن الفينيقيين عــرب . وحين اخــذوا منهم ومن الرومان نظام النقود منـــذ القرن الرابع ق م كما اخذو منهم بعض الفنون كفن السيراميك منذ القرن الاول ق.م .

فرغ اليمنيون من كل مناحي الحضارة تلك ، وطلبوا الموسيقى ، وقامت هـــذه المدرسة التي تواضع كافة المؤرخين على وجودها باليمن قبل الاسلام وظلت الى قيامه ، وصــدق صاحب الاغانى حين نقل من ابن خلدون قوله ان الموسيقا والغناء آخــر ما يحصــل في العمران من الصنائع لانها كمالية في غير وظيفة من الوظائـــف الا وظيفــة الفراغ والفرح .

كانت هناك حضــارة متكاملة اذن في اليمن في شتى الصنائع في البناء والهندسة والري والزراعــة وكانت الموسيقا خاتمة العمران او الحضارة في اليمن كما يقول ابو الفرج نقلا عن ابن خــلدون . وتعلم في هذه المدرسة الموسيقية اكبر موسيقي العرب وترعرع على قمتها في النهاية الكنــدى فيلسوف العرب والاسلام وابن كنده القبيلة اليمنيه .

ايها الاخوة الاحبه ..

ثم ، كان الفجر يوشك ان يبزغ ومن بعده تباشير الصباح ، كان النور يوشك ان يعم الكون ، كان ايوان كسرى يوشك ان ينتفض انتفاضته الكبرى مبشرا بميلاد دين جديد ، كان الاسلام يوشك ان يدق ابواب مكة .

كان لابد لاكتمال هذه الحضارة اليمنية الخالدة التى حكيت لكم منها ، من وجود مدرسة طبية باليمن القديمة اظلت بمدرسة مصر القديمة ، وتعلمت منها حتى ادق اسرار التحنيط ، وخاصة وان المصريين القدامي استوردوا لبانه ومره من اليمن .

كنت موقنا من ذلك اراه فى فدوى ورواحى كما اراكم امامى اليوم .

فالحضارات ايها الاخوة بناء متكامل ، وليس من المعقول ان تكون هناك مدارس البناء تلك ، ومدارس الزراعة والرى هذه ، بل انه ليس من المعقول ان يعرف اليمنيون التحنيط ، هذه المدرسة التى توشك ان تفتح لنا مغالقها ، وان تكتمل عمارة الحضارة اليمنية بوجود مدرسة يمنية موسيقية دون ان تكون هناك مدرسة طبية .

وليس من المعقول ايضا ، ان تقوم كل هذه الصلات العلمية فى فنون البناء والرى والزراعة ، والتحنيط بين ابناء اليمن وابناء عمومتهم من المصريين والعراقيين كما هو ثابت من اتصال مدارس اليمن العلمية بمدارس مصر القديمة العلمية وخاصة بعد اكتشاف هذه المومياءات فى منطقة الفواس مؤخرا .

اقول انه ليس بمعقول ان يتم كل ذلك دون ان تكون هناك صلات طبية ، وان يتعلم اليمنيون القدامى من المصريين القدامى الكثير عن امراض الجسد وعلاجاته ، والكثير من الاعشاب التى كان المصريون يستوردونها من اليمن ويستعملونها فى معابدهم وفى علاجاتهم وفى تحنيط موتاهم ، وان يتبادل الجميع تجاربهم .

ولكن يقينى بوجود هذه المدرسة واستمرارها الى ما قبل الاسلام كان ينقصه الدليل، كنت موقنا من ان عرب الشمال كانوا يرسلون ابناءهم الى اليمن ليتعلموا الطب ايضا ، كما كانوا يرسلونهم ليتعلموا الموسيقى .

ولكن .... من ؟؟؟ من كان التلميذ ومن كان الاستاذ ؟؟ وما هى النظرية التى كانوا يتعلمونها ؟؟؟ وما هى الكتب التى تشرح هذا الطب العربى اليمنى ؟؟

وزاد الامر صعوبة قلة المراجع عن تاريخ اليمن القديم بالذات ، عربية او افرنجية .

كان العرب قديما لا يدونون شيئا ، كانوا يعتمدون على الرواية والشافهة .

يقول داود الانطاكى الضرير ، فى تذكرته ، " انه لمزيد حرص العلماء القدماء على حراسة العلوم وحفظها اتفقوا على الا تُعلم الا مشافهة ، ولا تُدون لئلا تكثر الآراء ،

تشغل الاذهان عن تحريرها اتكالا على الكتب . "

ولم يكن ذلك حال العرب وحدهم عرب الشمال وعرب الجنوب وانما كان ذلك حال غيرهم من الامم قديما ما عدا المصريين .

يقول الفارابى المعلم الثانى ، واستمر ذلك الى ان انفرد المعلم الثانىالاول ارسطو بكمال الكمالات فشرع فى التدوين .

ان ما نكتشفه كل يوم من كتابات سبئية حميرية على الواح النحاس تدل على ان اليمن كانتعنى بالتدوين بعكس الحجاز التى لم يكن بها من الكتبة حين نزل الوحى على النبى غير ثلاثين من الكتبة نعرف اسماءهم جميعا .

ايها الاخوة الاحبة ...

ضاع الكثير من تاريخنا ، بسبب عادة الرواية والشفاهية تلك عند اجدادنا من العرب القدماء . ولكن ذلك الكم الهائل من كتب التاريخ وخاصة كتب الطبقات التى خلفتها لنا الحضارة الاسلامية بعد ذلك كان يشير بين طياته اشارات عابرة إلى تاريخنا هذا وكان لابد ان تشى هذه الاشارات الى أسرار هذه الحضارة القديمة .

حسنا ، بدا كل شىء حين كُلفت من مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ومعها منظمة الطب الاسلامى ،ان اقوم بعمل فهرس للطب الاسلامى ، يشمل كل كتب الطب العربى الاسلامى فى كافة بقاع الدنيا .

اقول لكم الحقيقة كانذلكعملا شاقا مضنيا اتممته بكل الجهدالذى يليق بمسلم يعمل عملا اسلاميا ، انفقت فيه عمرى ، وفى منتصف الطريق ككل عمل يقوم به المسلمون العرب للاسف الشديد ، وقع خلاف بينى وبينهم ، كان مستشاروهم من غير العرب وغير المسلمين قد اقنعوهم بان الطب العربى والاسلامى طب واحد ، وانهما بدآن من ايام العباسيين حين تمت ترجمة كتب اليونان الى العربية ، وهكذا اقتنع هؤلاء المستشارين بانه طب اغريقى-عربى او اغريقى-اسلامى المهم انه بدا بالاغريق كما اطلقت عليه جامعة الدول العربية حتى جامعة الدول العربية .

ورفضت هذا الفهم من اجل هذه الحضارة العربية التى أحكى لكم عنها اليوم ومن اجل قناعتى تلك .

وكان من السهل على تبنى هذا الفهم الخاطىء الذى يدعونه ، لانه من السهل ان ارده الى مراجع اجنبية عديدة ومراجع عربية كثيرة كتبها مؤلفون تربوا فى احضان الغرب ومن الواضح ان كل ثقل الغرب كان يقف من وراء فهمهم الخاطىء هذا .

٤٢
تسويم الأصول [illegible]

وكانت هذه بداية كل شئ .

كتبت مقدمة للكتاب عنوانها ، هل كان العرب يعرفون الطب قبل الاسلام ؟ ؟!

كنت اشير الى هذه المدرسة التى احتلت كل تفكيرى .

تجسرت شكلة .. لا يحب الغرب ان يخبرها ولا يحب انصار الحضارات الاوروبية في بلادنا ان يسمعوا بها . وغضبوا جميعا ، حتى اصدقائي من انصار الفكر الاوروبي الذين رضعوا لبتقطته لبانه وتربو في مدارسه غضبوا منى .

ولكن التاريخ ايها الاحبة لا يعرف المجاملة ، ولا هو يعرف ارضاء اقوام بما ليس عليه دليل او اغضاب آخرين بما يقوم عليه الدليل . وما حق ما ابقيت لى صديقا كما صاح يوما الامام على كرم الله وجهه .

اوضحت بما لا يدع مجالا للشك انه كان هناك طب عربى قبل ان يكون هناك طب اسلامى ، وان العرب القدامى قبل الاسلام لم يكن طبهم كله رقى وتمائم وتعاويذ وكهانة وعرافة ، كما يدعى الغرب ، كانت هناك معرفة بالنباتات ، كان هناك اكثر من ١٢٠٠ نوع من النباتات فى ارض اليمن (Foreskall , 1960)

هذه الجنة ذات الزراعة الهائلة القديمة التى اشاد بها القرآن ونقلها لنا الهمدانى.

وعرف اليمنيون القدامى تاثير هذه النباتات على الانسان لاشك فى ذلك حين تناولوها خطأ او حين باعوها الى اطباء مصر ، ليستعملونها فى وصفاتهم الطبية وعرفوا الجيد والردئ من هذه النباتات ، كاللبان والمر ، واستعملوا بعض هذه النباتات فى التحنيط الذى تعلموه عن المصريين القدماء .

اليس هذا طبا واذا لم يكن فماذا تسميه ؟؟؟

لم يكن العرب الذين فى جنوب شبه الجزيرة همجا قبل الاسلام كما يدعى الغرب وليس بمعقول ان شبه الجزيرة العربية كلها ، هذه البقعة التى اختارها الله لتلقى رسالة خاتم انبيائه كانت بهذا السوء الذى يصورونه .

صحيح ان حياتها قبل الاسلام كانت أقل حضارة من حياتها بعد البعثة المحمدية لما نفخ فيها الاسلام من روحه ، ولكن هذا لا ينفى ان الجزيرة العربية وخاصة فى جنوبها كانت ممهدة لتلقى الرسالة ولتحمل اعباء هذه الحضارة التى اختصها الله بها.

ومن المقطوع به ان عرب اليمن هاجروا الى مصر والشام والعراق فى شمال شبه الجزيرة العربية ، حيث قامت بعد ذلك مملكتان عظيمتان هما مملكة تدمر ومملكة الانباط ، وانتهى الامر بهؤلاء اليمنيين الى انشاء دولتين ظهرتا قبل الاسلام بوقت. تصور احداهما فى مواجهة الامبراطورية الفارسية (الحيرة) ، والثانية فى مواجهة الامبراطورية البيزنطية ، (الغساسنة) .

يقول ى.هـل ، فى كتابه الحضارة العربية ص ١٣ ،

" ان من المقطوع به ان البعث المحمدى فى القرن السابع الميلادى لم يكن هو المرة الاولى التى ظهر فيها العرب على مسرح التاريخ العالمى ، فالطبقة الحاكمة فى بابل القديمة من أصل عربى ، سامى . وتؤيد النقوش والكتابات اليمنية العديدة وجود حضارة يمنية ، وحكومة مستقرة فى العصور التى سبقت المسيحية ، لا تقل فى ظهورها من اى حضارة او حكومة معاصرة لها .

لقد اثبت ادوارد جلاسر ان دولة اليمن سارت منذ الالف الثانية قبل الميلاد حتى البحر الابيض ، وانها كانت مركزا تجاريا هاما =كما قلنا = وان شبه جزيرة العرب على طول ساحل البحر الاحمر كانت مسرحا للكثير من المحطات التجارية والقلاع . واثبتت نقوش حتشبسوت ونقوش البطالمة بعد ذلك الصلات التجارية بين اليمن ومصر القديمة .

انا نرفض تماما القول بان عرب الحجاز حتى عرب الحجاز — كانوا قبل الاسلام مباشرة قوما همجا كما يدعى كتاب الغرب ، ، فليس بمعقول ان الامة التى قادت البشرية الى الهداية والى النور ، وحملت رسالة الحضارة الاسلامية لنشرتها فى العالم كله كانت امة من الهمج ، قبل الاسلام وارتدت بين يوم وليلة الى اعظم امم التاريخ .

ان العرب الذين ظهر فيهم ومنهم سيدنا محمد المبعوث بالهداية ،كانوا ينقسمون الى حضر وبادية ، سكان مدن وسكان الصحراء ، وقد يكون سكان البادية على هذه الحال التى يصفهم الغرب بها ، ولكن سكان الحضر وخاصة فى جنوب شبه الجزيرة كانوا قوم اخلاق وفروسية وشهامة وكرم وكانو يعرضون وكانوا يعالجون وكانت هناك ابجدية عربية يكتب بها القلة ، وان كانت الكتابة غير محببة الى النفوس لتزيد حرص القدماء على حراسة العلوم كما اسلفنا ، وكانت لهم لغتهم العربية التى يعرفها جيرانهم من الفرس او الروم ويتكلمون بها ، بعضهم ، ويفهمونها .

وان سيطرة ابجدية واحدة على كل شبه الجزيرة جنوبها وحجازها وشمالها تلائم اللغة التى تستعملها ملائمة تامة ، لتكفى للخروج منها بدلالة ذات شان كما استنتج مارجوليوث ، اما ان يكون شبه الجزيرة باسرها قد سيطر عليه فى وقت من الاوقات اصحاب هذا الخط المسند من اليمنيين ، واما ان يكون مجتمع بعينه قد اكتسب السيطرة العقلية على غيره من المجتمعات ثم لقنها الثقافة وكلاهما بالنسبة لليمن صحيح .

وكان لهم شعرهم المأخوذ الكثير منه عن عرب اليمن ، وخاصة شعر الغزل ارق الشعر العربى ، فالعرب الى اليوم يقولون عن احلى الغزل ، غزل يمانى .
ومن المعروف ان اعظم شعراء الغزل عند العرب ، عمر بن ابى ربيعة كانت امه يمانية .

وكانوا يرسلون ابناءهم الى اليمن للتعلم .والحضارات كما نعلم تحتاج الى كل هذه المقومات ، والى هذا العقل والتعقل العربيين وهذه الحكمة العربية كى تنمو وتزدهر .

ولم تنكر الحضارة الاسلامية الوليدة الكثير من القواعد الحضارية التى كان معمولا بها قبل الاسلام من اجل ذلك ، اذا كانت متمشية مع العقل والمنطق .
ذلك لان الدعوى الاسلامية قائمة فى جوهرها على الايمان بكل المبادئ السليمة التى جاءت من قبلها لا تنكر منها شيئا .

" قولوا آمنا بالله وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ، وما أوتى عيسى وموسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين احد منهم ، ونحن له مسلمون . " (النساء / ١٣٦)

واليمنيون اصحاب رسالة ، وقد ارسل لهم سليمان من قبل ، وجاءهم بمعجزة بنائية مثل هذا الذى كانوا يبنون ، فبنى لبلقيس الصرح ، ونقل لها عرشها ، وقد اسلم اليمنيون لسليمان ، وقالت بلقيس ، " رب انى ظلمت نفسى وأسلمت لسليمان . "

ومن البدهى ان يأخذ منهم عرب الحجاز فى الشمال قبل ان يأخذوا عن الفرس او الروم او اليونان ، .

وحين اقر الطب الاسلامى بعض ما عرفه اليمنيون من قبله ، وحين اقر الطب الاسلامى بعض نظريات الهند او فارس او اليونان ، لم يكن متناقضا مع نفسه ، ولا مع الشريعة الاسلامية . فالمعروف ان الاسلام قد اقر الكثير من القواعد التى كان العرب يعرفونها من قبله ، فنحن قد قلنا ان عرب اليمن عرفوا التوحيد من قبل الاسلام وكان لهم اله اوحد اسموه الرحمن . او اله السماء ، وان اول من اظهر التوحيد بمكة كان قس بن ساعدة ، وان الخمر قد بدا تحريمها فى الجاهلية ، حرمها الوليد بن المغيرة . ويقولون قيس بن عاصم . كما حرمها بعد ذلك المطلب جد النبى .
وان اول من حرم القمار فى الجاهلية كان الاقرع بن عاصم ، واقره الاسلام على ذلك وان عقوبة قطع اليد كانت معروفة باليمن قبل الاسلام منذ زمن بعيد ، كانوا يقطعون يد الذى يموت المريض بسبب جراحاته او يصاب بالعمى ، وتلك شريعة حامورابى التى اخذوها عن البابليين، اذ كان حامورابى نفسه من اصل يمنى كما اسلفنا ، وكانت دولة

حاوراس تسمى " عرس " اشارة الى ذلك .
واول من سن الدية فى الجاهلية ، عبد المطلب واقره الاسلام على ذلك ايضا .
وكان العرب قبل الاسلام يحجون الى البيت الحرام ، ويعتمرون ويحجون ويطوفون ويسعون ويرمون الجمار ، شريعة ابراهيم حنيفا ، وكانوا يغسلون موتاهم وكانوا يغتسلون من الجنابة .

وهكذا فالحقيقة التى يعمد الغرب الى اسدال ستار من التجهيل عليها ، هى ان العرب فى شبه الجزيرة كلها وعلى الاخص فى اليمن ، كانت لهم حضارة موغلة فى التاريخ ، وانهم كانوا أرقى كثيرا من الشعوب التى نتحوها ، فقد كان جل اجناد العرب من اليمانية وقد يكون هذا التحضر التاريخى مع ايمانهم العميق بقضية الاسلام هو سر تفوقهم الحربى ، اذى كان من وراء فتوحاتهم ، تفوقهم الحضارى وتفوقهم الدينى ، أدبتهم نفوسهم ، ورفعتهم شعثهم ، واعلتهم قلوبهم كما يقول ابن القنع .

والحقيقة انهم ورثة حضارة قديمة فريدة تناولها الاسلام بالاصلاح والتهذيب حتى صار العرب خير امة اخرجت للناس ..
وكانوا من قبل مهيئين لاستقبال الدين الجديد ، واقامة هذه الحضارة الاسلامية التى قادت العالم بعد ذلك ، وكانت العماد والاساس الذى قامت عليه حضارة اوروبا الحديثة.
والثابت ان الكلدانيين ابناء قبيلة كلدة اليمنية المهاجرين الى الشمال عرفوا لما تحدثنا به قوالب الطين والنقوش التى تركوها لنا ، والثابت ان اليمنيين القدامى عرفوا ضروبا من الطب تحدثنا به الموميات المكتشفة حديثا بمنطقة الفراس ، والثابت ايضا ان عرب الحجاز كانوا على صلة بابناء عمومتهم من الكلدانيين ، وباهلهم فى اليمن كما ان الثابت ان معجزة السيد المسيح كانت معجزة طبية ، يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله .
وهذه الارض التى قامت فيها رسالة المسيح لم تكن بمعزل عن بلاد العرب ، وانما كانت متصلة بها مكملة لها ، اصلها عرب كما ذكرنا يرحل اليها العرب بالشتاء وفى الصيف .

والثابت عندى ان العرب عرفوا طب اليمن هذا ، وانهم ارسلوا البعوث من ابنائهم لليمن لتعلم الطب ، أخذوا عنهم اكثر مما اخذوا عن الفرس او الهند او تجارب الكلدانيين او نصارى الشام .
وانه لمن أعجب العجب ان يدعى الغرب ان العرب اخذوا عن اليونان المعيدة

وينكرون انهم اخذوا عن اليمن التى هى جزء منهم .

يقول القفطى ، " ان الامم التى عنيت بالعلوم هى الفرس والهند والكلدانيون ، واليونانيون ، واهل مصر ، والعرب ، والعبرانيون ، كل هذه الامم عنيت بالعلوم واستخراجها ، وباقى الامم لم تعن بشىء من ذلك ، ولا ظهر لها شىء منه .

والحقيقة ان العرب فى كل شبه الجزيرة وجنوبها على الاخص ، شانهم شان كل الامم ، كانوا يعرفون نوعين من امور العلاج .

نوع يمارسه الكهنة والعرافون ، يُعرفون به لا يتجاوزونه وقد نهى الاسلام عنه بعد ذلك ، وشجبه . وطب آخر يمت الى طبنا الحديث بصلة يشخص الداء ويصف الدواء ، ويعتمد على معرفة بالاعضاء ، وتاثير بعض العقاقير على نحو ما كان يفعل المصريون القدامى واليمنيون وغيرهم فى ذلك الزمان ، كما كانوا يعرفون الجراحة

يقول القاضى صاعد ، " وكانت العرب فى صدر الاسلام لا تعنى بشىء من العلم الا بلغتها ، ومعرفة احكام شريعتها ، حاشا صناعة الطب ، فانها كانت موجودة عند افراد منهم غير منكرة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرا اليها " . وكانوا يسمون اصحاب هذه الصناعة اطباء تمييزا لهم من العرافين والكهنة .

ومهما كان اختلافنا فى هذا الخصوص مع القاضى صاعد فيما اورده من علوم العرب ، فما يهمنا هنا انه كانت هناك صناعة طبية فى صدر الاسلام ، حتى فى وسط الجزيرة العربية وان الطب كان يعد عندهم نوعا من العلوم كما يقول القاضى صاعد وذلك قبل عصر الترجمة عن اليونانية .

فاذا كان هناك طب فى اليمن منذ اقدم القدم ، اشار اليه المؤرخون جميعا أفلا يكون من الجلى أن ياخذه عنهم باقى العرب فى الشمال ؟؟؟

وطب اليمن ثابت انه قديم قديم ، يرجع تاريخه الى الزمن الذى ساد فيه الطب الفرعونى الذى اخذ عنه واعطاه ، ليس ادل على ذلك من موميات الفراعنة اليمنية .
يقول ابن ابى اصيبعة فى عيون الانباء ،

" وبعضهم - اى فلاسفة اليونان - يقول ان المستخرج لها - اى صناعة الطب الحكماء من اهل قو ، وهى الجزيرة التى كان بها ابقراط وآباؤه ، وبعضهم يقول ان المستخرج لها هم الكلدانيون ، وبعضهم يقول ان المستخرج لها هم السحرة من اهل اليمن ، وبعضهم يقول بل السحرة من اهل بابل او السحرة من فارس او من الهند ... وبعضهم يقول اهل لوبيا " .

هناك اجماع ادن على ان اهل اليمن كانوا هم اصل الطب ، بالنص او بالفهم ، لان اهل طورسينا واهل بابل والكلدانيين كانوا كلهم من اليمن ، جاءوا من هجرات الى الشمال كما اوضحنا .

والقارئ لتاريخ اليمن القديم الذى كان لابد لنا من سوقه لكم ، يرى ان اليمنيين اشتغلوا بالطب منذ ذلك التاريخ وقبل ما هو مدون ، وان صناعة الطب والاطباء كانت معروفة لهم منذ القدم ، وان ذلك يجئ خلال كل تاريخهم ، وفى كل ما يروونه .

ومن المعروف ان بلقيس ملكة سبا حينما دخلت الصرح حسبته لجة ، نكشفت عن ساقيها ، والمتواتر ان ساقيها كان بهما شعر كثيف ، وانها رجعت الى اطبائها ناخترعوا لها دواء مزيلا للشعر ، يقول ابن الاثير وكانت هذه اول مرة تعمل النورة فيها لامراة لازالة الشعر بحيث لا تضر الجسد . (الكامل / ص ١٣٢)

" قيل لها ادخلى الصرح ، فلما راته حسبته لجة ، وكشفت من ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير ، قالت رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين ." (سبا النمل ٣٨)

والتمعن فى هذا الاعجاز القرانى لكتابة التاريخ يرى ان الله سبحانه وتعالى جعل معجزة سليمان لبلقيس معجزة حضارية من نفس النوع الذى تفهمه بلقيس وتقدره ، هذه التى اتته من اليمن بلد البناء والقصور والهياكل والمعابد والصروح ، فابتنى لها صرحا ممردا من قوارير . وكان ان آمنت بلقيس بالله رب سليمان ورب العالمين .

ايها الاخوة الاحبة ...

كان الطب والدواء معروفين منذ هذا الزمن ، وكانت وصفات ازالة الشعر معروفة لدى قدماء المصريين ، فى زمن قريب من زمن بلقيس وسليمان وكانوا يستعملون فيها اللبان اليمنى . (الوصفة ١٤٤ من بردية هيرست).

والجدير بالذكر انه فى نفس بردية هيرست تكرر استعمال اللبان المستورد من اليمن فى اكثر من ٤٥ وصفه ، فلقد كان اهتمام قدماء المصريين هو ايضا اهتماما شديدا بوصفات انبات الشعر او ازالته .

وحتى اطباء الامراض النفسية الذين يفاخر بهم الغرب فى ايامنا هذه ، كانوا معروفين تماما لاجدادنا فى اليمن القديمة .

يقول ابن الاثير فى الكامل ، " فلما هلك ربيعة بن نصر ، واجتمع ملك اليمن الى حسان بن تبان بن ابى كرب بن ملكيكرب بن زيد بن عمرو ذى الاذعار ، كان مما

هيع امر الحبشة وتحول الملك من حمير ، ان حسان سار باهل اليمن يريد ان يطأ بهم ارض العرب والعجم كما كانت التبابعة تفعل ، كان التبابعة الذين يطأوون ارض العرب والعجم ـ فلما كان حسان بالعراق ، كرهت قبائل العرب من اليمن المسير معه ، (كانت بالعراق اذن قبائل من اليمن) ، فكلموا اخاه عمرا في قتل حسان ، وتمليكه ، فاجابهم الى ذلك الا ما كان من ذى رعين الحميرى ، فانه نهاه عن ذلك ، ، فلم يقبل فعمد ذو رعين الى صحيفة فكتب فيها ،

الا من يشترى سهرا بنوم سعيد من يبيت قرير عين
واما حمير فدرت وخانت فمعذرة الاله لذى رعين

مرة أخيرة اصر على ان اسمعكم شعر ذى رعين ، لان الشعر ديوان العرب جعلوه مستقرا لحكمتهم وشرفهم ومحكا لقرائحهم فى اصابة المعانى واجادة الاساليب.اكرر ان المستشرقين الذين يفتقر ذوقهم الى فهم هذا الشعر يفتقدون القدرة على كتابة تاريخنا ، الذى يشكل الشعر العربى جزءا هاما من مراجعه .

اكمل ، فلما بلغ حسان ما اجمع عليه اخوه وقبائل اليمن ، وكان ذو رعين قد ختم بيتيه واتى بها عمرا فقال ضع هذه عندك ، قال حسان شعرا منه

يا عمرو لا تعجل على منيتى فالملك تاخذه بغير حشود .

فابى عمرو الا قتله ، فقتل اخاه حسانا بموضع يسمى رحبة مالك (على ضفة الفرات اليمنى) ، ذلك يعنى ان ملك اليمن وصل الى ضفة الفرات اليمنى عند رحبة مالك وهى قلعة عظيمة تشبه قلعة حلب .

ما يعنى هنا ، ان عمرا رجع الى اليمن فاصابه حالة اكتئاب شديدة منعت منه النوم ، يقول الرواة على اتفاق انه سال اطباءه وغيرهم ، (اى الكهان والعرافين) سالهم عما به وشكا اليهم الغم والاكتئاب والسهر ، فقال له الطبيب ، " ما قتل أخ اخاه او ذا رحم بغيا الا منع من النوم ."

ما احب ان اوكد عليه ، انه كان هناك طب واطباء ، فى تلك الايام البعيدة فى اليمن ، وانه كانت هناك فئة غير هؤلاء من الكهنة والعرافين ايضا .

اقول ان بعض هؤلاء الاطباء كان يعالج امور النفس ، وما يعتورها من حزن وارق وهم وسهاد مما نسميه اليوم بالاكتئاب النفسى ، وان طبيبا شخص مرض عمرو ، فاجاد التشخيص ، عرف انه حرم النوم واصابه الارق لانه قتل اخاه بغيا .

ولكن القصة لا تروى لنا العلاج الذى اشار به هذا الطبيب لان القدر لم يمهل عمرا حتى يعالج ، انكر منه اهل اليمن ما فعل فقاموا عليه فقتلوه قبل ان يعالج .

والثابت من هذه الوصلات ان العرب في اليمن ونوا شيئا من التشوح ، والثابت انهم وعرب الشمال ايضا كانوا يعرفون انواعا من الجراحة ، وما تتطلبه من معرفة بالاعضاء الظاهرة والباطنة ، كما عرف العرب قطع الاورام الزائدة ، وبتروا الاعضاء الفاسدة ، واوقفوا النزيف ، وخصوا الحيوان والرجال وقاموا بمئات الالاف من عمليات الختان .

وقصة عمرو بن الشريد وابنه صخر بن عمرو بن الشريد اخو الخنساء الذى خلدته برثائها له تدل دلالة قاطعة على ان العرب مارسوا الجراحة قبل الاسلام .
فانه ليروى ان صخرا كان قد غزا بنى اسد بن خزيمة ، وغنم منهم ، ولكنه اصابته طعنة من ربيعة بن ثور ، وكانت الطعنة نجلاء ، دخل بسببها حلق من الدرع فى جسم صخر . يقولون ان الجرح عولج علاجا سطحيا ، ولا شك ان العلاج كان على شئ من الصحة بدليل ان الجرح اندمل ولم يتلوث . وظهر بعد ذلك فى جنب صخر ورم يشبه الكبد ، ولزم الفراش ، وطالت علته ، ومر به طبيب بعد ذلك ، فاراه ما به ونصح له الطبيب الجراح باجراء جراحة ، ووعده بالشفاء بعدها ، ولكن صخرا الذى كان يخشى عاقبة هذه الجراحة ، رفض .
كان هناك طبيب اذن ، يرى العلة ويشخصها ويصف الجراحة كعلاج بعد ان فشل العلاج الدوائى .
وتمضى الرواية فتقول ، ان صخرا سمع زوجته سلمى تجيب احدى صديقاتها حين سألت عن صحة بعلها ، بقولها المشهور والذى ذهب بعد ذلك مثلا ،
" لا هو حى فيرجى ، ولا ميت فينعى ، لقد لقينا منه الامرين ."
شق على صخر ان يسمع زوجته ضيقة بمرضه ، متبرمة بعلته ، وقارن بينها وبين امه التى تمنحه من عطفها وقت شدته اكثر مما تمنحه حال رخائه فانشد ،

اري ام صخر لا تمل عيادتى | وملت سلمى مضجعى ومكانى
وما كنت اخشى ان اكون جنازة | عليك ، ومن يغتر بالحدثان
اهم بامر الحزم لو استطيعه | وقد حيل بين العير والنزوان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما | واسمعت من كانت له اذنان
واى امرئ ساوى بام حليلة | فلا عاش الا فى شقى وهوان

اكرر بان دراسة الشعر العربى الذى يفتقده المستشرقون امر ضرورى وحتمى لدارس التاريخ العربى .
ومن الواضح كما يقول مرجوليوث ان التاريخ العربى لا يدين بشئ للتاريخ الفارسى

ولكنـــه على العكس مما يذهب اليه مارجوليوث يدين بالكثير لهذا الشعر العربى .

ما يهمنا هنا ان الشعر العربى قد كشف لنا من هـذا الطبيـب الـــذى عاد صخــرا قبل الاسلام ، وكان جراحا متمرسا فى فنون الجراحة ، ولم يكن عرافا او كاهنا ممن يلجاون الى الرقى والتمائم والتعاويذ ، كما يدعى الغــرب .

وتمضى الرواية فتقول ان صخرا حين سئم حديث زوجته لجارتها ، استدعى هذا الجراح ، وسأله ان يجرى الجراحة له ، وقام هذا الطبيب العربى الاسطورى باجراء الجراحة لصخـــر نعلا ، احموا له سكينا (كما كانت سنة التعقيم عندهم) ثم قطع الطبيب الورم واخرج الحلق ، من صدر صخر ، وتمت الجراحة بنجاح تام ولكن صخـرا مات بعدها بايام ، وهذا يحدث لاحسن الجراحين فى ايامنا هذه .

كانت الجراحة امرا معروفا فى كل شبه الجزيرة قبل الاسلام ، وكان ابن ابى رمثة وهو جراح قبل الاسلام وبعده معروفا لدى العرب ، فانهم يقولون انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ، " انى طبيب فدعنى اعالجه – يقصد خاتم النبوة بين كتفى النبى –" يقول النبى :" انت رفيق والطبيب هو الله " يقول سليمان بن حسان ، علم رسول الله انه رفيق اليد ولم يكن فائقا فى العلم .

كانت الجـــراحة علم الدن .

والتاريخ يذكر لنا ايضا ان العرب كلهم قبل الاسلام برعوا فى بعض عمليات الجراحة كخصى الحيوانات والرجال من العبيـــد .وكان كل من يخطئ فى اجرائها غارم .

يقولون ان واحدا من بنى عبس اسر ابا حنيفى الضبابى ، واودعه يهوديا من تيماء ، وان زوجـة اليهودى استمالت ابا حنيفى ، اليها ، واغرته بنفسها ، وان اليهودى عاد الى قومه يوما ، ودخل بيته على حين غـره ، فوجد ابا حنيفى هـذا مضاجعا زوجته اليهودية ، وعاقبه على ذلك بان خصاه ، ولم يحسن الخصـــى ، يقولون ان ابا حنيفى مات بعدها وان ابنه جاء بعد ذلك يطالب اليهودى بالديه .

كانت هناك جراحات الدن ، وكان هناك جراحون ، ان احسنوا اثيبوا ، وان اساءوا طولبوا بدية مرضاهم ، وكان للعرب فى الخصى طرق متعددة مما يدل على ان الجراحة اصبحت علما يؤدى بمختلف الطرق .

كانوا يستعملون فى الخصى سكينا مرهفا من الحديد يحمى فى النار (وهـذه اول فكرة الدياثرمى الذى نستعمله فى جراحاتنا الحديثة جدا او فكرة القطع مـع الكى بالنار ، هذه الفكرة التى سهلت الكثير من الجراحات التى كانت تنزف حتى الموت

ولــو ان جراحــا عربيا درس دقائق الجراحة عنـد العرب لاكتشف نكرة الديا ثرمى تلك قبل ان يكتشفها الغرب بمئات السنين ٠

وكانت هذه السكين الرهفة من الحديد تسمى الحاسة لان الاسلام كان يقضى بان تقطع السكين فى ضربة واحدة حتى لا يتعذب الحيوان ٠

وبرع جراحو العرب فى اجراء تلك الجراحة كما قلنا ،وقربوا لها الآرق الحديدة فاحسنوا التقدير ، كانوا يخصون العبيد خصاء ، اى يسلون الخصيتين ، وكانوا يجبون العبيد وجاء اى يجبون العروق والخصيتين على حالهما ، وكانوا يطلون الخصيتين طلا ، وذلك ان يشقوا عنها الصفن ويسلونهما بعروقهما ٠

وظل العرب يمارسون ذلك فى الحيوانات حتى جاء عمر بن الخطاب فكتب الى سعد بن ابى وقاص ينهى عن حذف اذناب الخيل واعرافها ومن خصائها ٠

كان العرب يعرفون الكثير من الحيوانات التى كانوا يعنون بها اشد العناية ٠عرفوا الطب البيطرى ، وعرفوا بالتجربة ان خصى الخيل يسبب ترهلها ، وزيادة وزنها وعجزها من الكر والفر فى ميادين الحرب ، ولاحظوا مثل هذا الترهل فى الانسان ايضا ، كما ادركوا ان هناك علاقة وثيقة بين شئ ما فى هذه الخصية والكثير من خصائص الرجوله ٠اول ادراك لعلم الهرمونات ، ولو انتبه اليه العرب المحدثون لاخترعوا هذا العلم قبل ان يخترعه الغرب بعد ذلك باكثر من الف عام ٠

اقول عرفوا الكثير من امراض الماشية والابل وعالجوها ، وعرفوا اجزاءها فكان ذلك مقدمة لعلم التشريح عندهم ، وعلم التشريح المقارن،الذى عرفه العالم بعد ذلك ، ووصفوا اجزاء هذه الحيوانات بادق ما وصفت به امة حيواناتها ، شرحنا ذلك فى كتابنا عن الفروسية والخيل عند العرب القدم لنيل جائزة كارل ديم الالمانية٠

ما يعنى هنا انه كانت هناك جراحات تجرى للانسان وللحيوان قبل الاسلام ، وهذه طب بعيد كل البعد عن العرافة والكهانة ٠

وان العرب عرفوا الكى ، والحقنة والبط وهى علاجات بعيدة عن الكهانة والعرافه ٠ كما عرفوا فى مداواتهم انواعا من النباتات والاعشاب اشتهرت بها اليمن ، فلقد احصت بعثة نورسكل الفنلندية التى جاءت الى اليمن عام ١٧٦٠ م نباتات اليمن وكان تعداد ما احصته ١٢٠٠ نباتا ٠

كما عرفوا اصنافا من العقاقير المفردة والمركبة ، وشربوا الاشربة واخصها العسل ، عرفوا الحمية ، والفصد والحجامه ٠

عرف عرب اليمن الان الطب كما عرفته شبه الجزيرة قبل الاسلام ، وعلى مستوى اعلى من ما كان معروفا على ايامهم بل وخير مما كان لدى الكثير من الامم آنذاك ٠

نحن لاننكر انه كانت هناك عرافة وكهانة وتمائم فى اليمن قبل الاسلام ، ولكنها لم تكن هى وحدها وسيلة العلاج ، كان هناك الى جانبها طب واطباء ، وكانت العرافة والكهانة وما شابهها من امور منتشرة فى كل امم الدنيا ، ففى اوروبا كانت هناك امراض الطعن المختوم ، وكانت هناك معابد اسكيولابيوس لشفاء المرضى من خلال الاحلام والاوهام ، وكانت هناك الالهة ابولونيا التى ادعوا انزيارتها تشفى الاسقام ، والتى حلوا قبورها ليقتلوا رفاتها يوما نوجدوها رفاة معزى ، وفى مصر الفرعونية كانت هناك السرقى والتعاويذ ، فى الوقت الذى عرف فيه اليمن قبل الاسلام التداواة بالاعشاب والاشربة والنباتات والحجامة والفصد والحقنة والكى والجراحات .

مرة اخرى أعود الى الشعر العربى ديوان العرب الخالد اقول لكم ان الشعر العربى يدل دلالة واضحة على انه كان هناك اطباء حاذقين عرب قبل الاسلام .

كان هناك هذا الذى يقال له حذيم ، بالذال او الذاء من قبيلة تيم الرباب والذى صار مضرب المثل فى طبه يقولون ، " اطب من حذيم " حتى ان استاذا لزهير بن ابى سلمى هو اوس بن حجر يقول ،

فهل لكم فيها الى فاننى بصير بما اعيى النطاسى حزيما .

ولولا هذا الذى قاله أوس فيه لما عرفنا حذيم هذا ولضاعت اخباره فيما كما ضاعت اخبار هذا الطب اليمنى القديم .

كان العرب فى اليمن وفى الحجاز يعاونون ذلك كله الذى ذكرناه ، اعرف ويعرف غيرى ولكن الاسماء والاخبار التى لابد منها ضاعت اغلبها فى مجاهل التاريخ .

كانت هناك حلقة مفقودة بين كل هذا الذى نعرفه ، عن اليمن القديمة وهذا الذى نعرفه عن اليمن منذ الاسلام .

نحن فى حاجة إلى التنقيب عن هذه الحلقة المفقودة ، كما اننا فى حاجة الى التنقيب عن اخبار حذيم هذا . وابن ابجر وابن ابى رمثة وهذا الجراح العربى الاسطورى الذى استخرج حلقة الدرع من صدر صخر بن عمرو بن الشريد .

لم يصل الغرب رغم مناهجه العلمية التى يدعيها الى كل ذلك ، او انه لا يحب ان يصل اليها ، او ان مناهجه فيها شئ من الخطا لاتوصله الى الغاية .

كان علينا اذن ان نتبع منهجا مخالفا ، انهم يبداون من حيث بدا التاريخ ، بالتاريخ قبل المكتوب ، ثم بالتاريخ المكتوب ، ثم بالميلادى ، فالوسيط والاسلامى وينتهون بالتاريخ الحديث والمعاصر .

اقول لان ذلك لم يوصلنا الى شئ بخصوص ما نحن بصدده ، اتبعنا منهجا مخالفا .

صعدت مع التاريخ بالعكس مبتدئا بالقرن الاول الهجرى ، ايام الاموين ثم الخلفاء الراشدين ، فتاريخ العرب قبل الاسلام ، ثم تاريخهم القديم .
امسكت خيطا رفيعا غاية فى الدقة وحاولت ان اتتبعه لادرك منتهاه .

ابتدات بكتابى من "الدور الذى لعبه اطباء الشام فى الطب الاسلامى" ووفقنى الله ، وذهبت الى دمشق لاحدثهم عن العرب وطبهم فى العصر الوسيط ، صعدا فى التاريخ حتى ايام الاموين . اقول لكم الحقيقة كانت الكتابة عن الاموين شاقة صعبة ، لنقص المراجع فى هذه الفترة الزمنية ، ولان الذين كتبوا عن هذه الفترة كانوا من العباسيين الذين غمطوا الامويين حقهم احيانا ، او من المتدينين الذين كانوا يرون ان الاموين اقرب الى الكفر ، الم يقتلوا الحسين ، وضربوا الكعبة بالمنجنيق . ولكنى على الرغم من كل ذلك استطعت ان اثبت انه كان هناك طب عربى فى صدر الاسلام وقبل ان يترجم العرب كتب اليونان .

واكتشفت مدرسة انطاكية العربية الطبية التى كان على راسها ابن ابجر/الكنانى (الحمانى) الطبيب العربى المسلم الذى كان يمارس الطب العلمى كما نمارسه اليوم ، يحلل البول ويصف الدواء ويشخص المرض . ومن المعروف ان الخليفة عمر بن عبد العزيز كان يبعث اليه بقارورته (اى ببوله) لينظر فيها ويصف له الدواء . (ابن جلجل)

وكان ابن ابجر الكنانى استاذا بمدرسة الاسكندرية الطبيه ، الفلسفية ، وكان ابوه او جده استاذا ايضا بهذه المدرسة ،

كان اطباء العرب يعلمون اذن بمدرسة الاسكندرية القديمة ، يعلمون الطب المصرى (عكس ما يقوله الغرب من انه) لم يكن بشبه الجزيرة العربية طب ، قبل ان ينقل العرب طب الاغريق فى عصر الترجمة ، وان العرب كانوا مجرد ناقلين .

اين تعلم ابن ابجر/الكنانى (الحمانى) ؟؟؟

ما هى النظرية التى كان يعلمها ابن ابجر الكنانى فى مدارس اليونان ؟؟؟
أمن المعقول انهم استدعوه من شبه الجزيرة كى يعلمهم طبهم هم ونظريتهم هم ؟؟

كان ابن ابجر الكنانى اموى الثقافة يعمل فى بلاط الاموين . هذه حقيقة ولقد كان كل مستشارى الاموين من اليمنيين ، هذه حقيقه .
وانهم يقولون على اجماع من المؤرخين ان الحضارة الاموية حضارة حميريه لكثرة ما استخدم الاموين من اليمانيين . (Hymiarite Omayyad)
وانظر قواد العرب فى عصر بنى امية عبد الرحمن الغافقى يمانى .
والنهضة الاندلسية فى الغرب تدين بالكثير للمفكرين اليمنيين الذين استطاعوا ان

ينقلوا الى الاندلس حضارة البناء والري والطرق .

ولكن التاريخ صمت تماما عن التفاصيل الخاصة بالنسبة لابن ابجر . او .. اننا حتى الان عجزنا عن الحصول على الوثائق التاريخية الخاصة بابن ابجر ، ولولا انه كان راوية لاحد الاحاديث ، لما جاء ذكره فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى (٦/ ٣٩٤-٣٩٥) يقول ابن حجر (عبد الملك بن سعيد بن حيان بن ابجر الهمدانى الكنانى ... كان من اطب الناس ، وكان لا يأخذ عليه اجرا .)

ولما عرفنا انه كان عالما طبيبا ، يدرس علم الطب ، ولا انه كان صديقا لعمر بن عبد العزيز ، ولا انه نقل مدرسة الاسكندرية الى انطاكية ، ولا ان مدرسة انطاكية هذه كانت اول مدرسة طبية فى الاسلام(١٠٠هـ)، ولا انها كانت على ايام بنى امية ، وكان على راسها طبيب عربى مسلم .

وهاج الغرب حين حدثناهم من ابن ابجر الكنانى الهمدانى ومدرسة أنطاكية تلك، وقالوا ان بروكلمان يضع شكوكا حول عام مولده ، ولكن عشرة اعوام او عشرين عاما لاتعنى اختلافا كبيرا فى تاريخ الامم البعيد ، و بروكلمان لم يستطع ان ينكر وجود ابن ابجر ولا انه هو او ابيه (لا يعنى ذلك شيئا بالنسبة لنا) كانا يحملان الافريقى طبنا العربى .

ولا ان ببغداد وحدها كان يوجد ٨٠٠ طبيب عربى اغلبهم من العرب قبل عصر الترجمة ، وانهم عرفوا طبا عربيا مختلفا عن الطب الافريقى وقاسوا النبض وحللوا البول . وهكذا ثار السؤال المحير ،

" اذا لم يكن هؤلاء الاطباء العرب قبل عصر الترجمة قد اخذوا من اليونان ، من اين اخذوا طبهم الذى ؟؟"

وضعت السؤال فى اعمق اعماق عقلى الباطن ، وانشغلت عنه لعام او اكثر .

كتبت كتابى عن علم القارورة عند العرب ، وكتبت كتابى عن علم الاطفال عند المسلمين . ولكن سؤالا كان يلح على ذكرى اثناء كل ذلك .

" اذا كان من الثابت انه كان هناك طب مختلف عن الطب اليونانى قبل الاسلام ، فمن اين استقاه المسلمون ؟؟؟

وساقتنى العناية الالهية مؤخرا الى الاجابة .

كان المتواتر (من ابن ابى اصيبعة) ان اول الطب ، ومنشاه كان هنا باليمن . هذه نظريه .

كان عرب الحجاز كما قلت لكم يرسلون ابناءهم الى اليمن لتلقى الموسيقى . هذه حقيقه .

كانت الثقافة كلها في عرب الجنوب في اليمن قبل عرب الحجاز وتعزى الحضارة العربية اكثر الى اليمن . هذه حقيقة .

كان هناك من اليمنيين قبل الاسلام من الحميريين من يملك مواهب معروفة كالشعراء والموسيقيين والفلاسفة والعلماء وخاصة علماء الفلك والطب .

وهذه حقيقة اخرى .

" The Arabs particularly the Himyarites possessed contemporary gifts as poets musicians , philosophers & scientists. Specially in astronomy & medicine." Ency.Br. ii,PI64

هل أرسل علماء الحجاز ابناءهم الى اليمن يتعلمون الطب كما فعلوا بالموسيقى ؟.

هل كانت هناك مدرسة للطب وتعليمه باليمن السعيد قبل الاسلام ؟؟

لا ادري . ولكن التاريخ كان صامتا ايضا امام هذه المعلومة لا يجيب .

وبسهولة ، كنت اقرا طبقات الاطباء والحكماء — للمرة الثانية — لابن جلجل .

وابن جلجل هو ابو داود سليمان بن حسان المشهور بابن جلجل ، من اهل قرطبة ويكنى ابو ايوب . وهو عالم من علماء الحديث ايضا يروى التاريخ بنفس اسلوب رواية الحديث ، بكل دقة ، وبكل صدق ،

تلقى الحديث من ابو بكر الدينورى ، وابى الحزم وهب بن مسره ، ولكنه عنى بطلب الطب منذ الصغر ، تعلمه فى الرابعة عشرة واتى فيه فى العشرين وبلغ فيه الغاية ، يقول ابن الابار انه الف كتابا فى طبقات الاطباء وفرغ منه عام ٣٧٠هـ

ولعل سوء فهم التابعين لابن جلجل ، لما اورده بكتابه هذا ، هو السبب فى كل ما يحدث اليوم من خلط فى اصل الطب العربى والاسلامى . ولعل الله شاء ان يكون كتاب بن جلجل نفسه هو السبيل الى تصحيح هذا الغلط.

بدا ابن جلجل كتابه الرائع ، بهرمس الاول — الذى يقول العرب عنه انه سيدنا ادريس — ثم بهرمس الثانى فالثالث ، ثم اسقلبيوس ، وابولن وابوقراط وديوسقوريدس ، وافلاطون وارسطو ، وسقراط وديموقريطس وبطليموس واقليدس و جالينوس ثم الاسكندرانيين ، كل هؤلاء قبل ان ياتى على ذكر واحد من العرب ، ثم ذكر بعد ذلك الحارث ، وابن ابى رمثة وابن ابجر الهمدانى الكنانى هذا اليمنى الذى حدثتكم عنه ، ولعل عدم ذكره لاطباء قبل هؤلاء راجع الى انه لايعرف مثلنا شيئا عمن كانوا قبل هؤلاء من الاطباء العرب ، وخاصة وان كل المراجع التى ذكرها شفهية او تتحدث من الغرب ، وكان يعيش فى قرطبة ولا نعرف انه جاء الى المشرق يقول ابن جلجل ، "ولم اصل ايها الشريف الى علم قيدته لك فى رسالتى هذه

الا بعد النظر فى الكتب القديمة ، ككتاب الالوف لابى معشر (وهو الكتاب المص اخبار الامم من الفرس) ، وكتاب هروشيش Paulus Kasius Orosius صاحب القصص ، وكتاب القراونقة ، لجيرونيم الترجمان . ST. Jerome وكاخبار رايتها لحكماء اليونان استدللت بها على مكان كل حكيم ، منهم " .

وهكذا كان ابن جلجل الذى كان يعيش فى الغرب فى قرطبة ، يستقى كل ما كتب من هذه الكتب الغربية التى لم تكن تعنى باخبار العرب عامة واليمن خاصة وخاصة فيما قبل الاسلام .

وهكذا جاء حديثه عن الحارث وابن ابى رمثة وابن ابجر مختصرا أشد الاختصار مفروضا عليه كل الفرض لان اسماء هؤلاء وردت عليه وهو يتعلم الحديث ،ولانهم كانوا حديثى عهد بالاسلام ، وكان عيبا عليه ان يغفلهم .

ولكنه ، للامانة ، لم يذكر ان طب اى من هؤلاء كان امتدادا للمدرسة اليونانية وانما ذكر ابن جلجل الاطباء اليونان بهذا التفصيل وفى صدر كتابه لما ذكرناه من ان مراجعه كانت كلها يونانية لم تذكر واحدا من اطباء الجاهلية .
ولكنه لم ينس ان ينبه الى ان هؤلاء الاطباء الذين ذكرهم لم يكونوا فى الاصل من اليونان ولا السريان ولا الفرس ، هم عرب خلصاء الدن .

وهنا يجب ان نتريث لحظة لننبه الى مذهبنا فى الاعتماد على الحديث النبوى الشريف كمصدر من مصادر التاريخ الاسلامى العربى ،وعلى وجه الخصوص ما يدور حول حياة الرواة ، فهاهو ذا ابن جلجل يفعل ، فيعتمد على كتب الحديث التى درسها ويستقى منها المعلومات عن هؤلاء الاطباء العرب ، وذلك هو المنهج الاسلامى والتاريخى الصحيح . والواجب .

هاهو المنهج الجديد الذى اتبعناه صعودا فى التاريخ من الحديث الى القديم ضد التيار يوصلنا فى النهاية بتوفيق من الله ونصل الى سيدنا ابن جلجل .
ذكر ابن جلجل ان الحارث بن كلدة طبيب العرب وحكيمها تعلم الطب فى اليمن .
وكانت هذه اول مرة على حد علمنا تذكر فيها مدرسة اليمن الطبية هكذا صراحة فى احد كتب الطبقات الموثوق بصحتها ، والتى اخذ منها اغلب المتاخرين .
امسكنا بتلابيب الحارث بن كلدة لا ندعه يفلت من بين ايدينا كان هذا هو آخر الخيط ، ولقد ذكرنا فى وقت سابق ان قبيلة كلدة تلك كانت تسكن اليمن ومنها هاجرت شمالا على ساحل الخليج حتى العراق وانها انشات دولة الكلدانيين .

وهكذا كان هناك مربط الحارث بن كلدة باليمن ، كان هناك بقايا من اهله وعشيرته هناك ، والثابت ان الحارث ذهب الى اليمن ، وتعلم هناك في مرحلة مبكرة من عمره تعلم الضرب على العود كهواية وتعلم الطب كمهنة احترفها بعد ذلك .

ورجعنا الى تاريخ الحارث بن كلدة في كتب الطبقات ، وجدنا ان هناك اجماعا على انه ابتعث للعلم باليمن ، يتعلم بها الموسيقى ، والطب كما يقول ابن جلجل وابن ابى اصيبعـــة .

هـــذه هى المدرسة الان ، وهـــذا هو التلميذ ، بقيت النظرية وبقى الكتاب امسكنا بالخيط برفق نسير معه ومع الحارث بن كلدة الى منتهاه .

ولان الحارث تعلم الطب باليمن ، فنظرية الطب اليمنية هى نظرية الحارث الان واذا استطعنا ان نصل الى ما كان يبشر به الحارث مـن تعاليم طبية ، استطعنـا بكل سهولة ان نصل الى النظـــرية .

حسنا ايها الاحبـــة ...

كتب الحارث بن كلدة كتابا اسمه " المحاورة فى الطب ، يقول ابن ابى اصيبعـــة ، جـ١/١١٣ "وللحارث بن كلدة الثقفى من الكتب كتاب المحاورة فى الطب ."

اصبح بين ايدينا اسم الكتاب واسم التلميذ واسم المدرســة ، الكتاب الذى سوف يقود الى النظـــرية .

والكتاب ايها الاحبـــة ، لم يقع بايدينا شان كل ما كتب قبل الاسلام ، ولكنـا نعرف ان الحارث بن كلدة ســافر حين كبر الى مدرسة جنديسابور معلما هذه المرة يعلم اطباءها من النساطرة و اليهود ، اصول الطب ، وينشر نظريته التى كانت قـد اكتملت كما سوف نرى ، كما كان زميل آخـر له هو ابن ابجر الهمدانى الكنانى ، يعلم هو الاخـر اطباء الاغريق فى مدرسة الاسكندرية اصول الطب العربى ونظريته .

وليس بمعقول ان يكون الحارث قد ذهب الى جنديسابور ليتعلم الطب هناك كما يقول البعض ، فالثابت ان كسرى قد استدعاه لمحاورته او لعلاجه ، والثابت من محاورته مع كسرى انه كان وقتها ناضجا كل النضج ، كما ان نظريته الطبية التى تعلمها باليمن كانت قد اكتملت كل الاكتمال ، والثابت انه كان قد عاد مــن اليمن وكان كبيراً فى السن وليس طالبا صغيرا ، فقد اهداه كسرى جارية معروفة . واذا كان هو احد تلاميذ مدرسة جنديسابور فما كان أحرى بكسرى ان يستدعى أحد اساتذته او كبير الاطباء بالمدرسة بدلا منه فما حاجة كسرى باحد التلاميذ ؟؟

ايها الاخـــوة الاحبـــة ...

تعلم الحارث بن كلدة فى اليمن كما هو ثابت فى ابن جلجـل وابن ابى اصيبعة، واذا اردنا ان نعرف ماذا تعلم ، فان دراسة مستانية لكتابه المحاورة فى الطب سوف تقودنا الى هذه النظرية التى تعلمها فى مدارس اليمن . او تظنون انه تعلم فى مدارس اليمن ما لم يكن موجودا معروفا بمدارس اليمن ؟؟

ذهب ابن كلدة إلى فارس بعد ان عاد من اليمن وهو فى القمة وقد اكتملـــت نظريته كما نستنتج من حواره مع كسرى .

يساله كسرى من مدى علمـه بالطب ، يجيب الحارث انه وصل الى اعلى الدرجات فيه .

فلقد جاء بالمحاورة يقول كسرى كيف بصرك بالطب

يجيب الحارث ناهـــيك .

حسنا ايها الاخوة ، لم يصلنا ، الكتاب نعم ، ويا فرحة الغرب ، ولكن جزءا كبيرا منـه جـاء فى كتب العرب الاخرى ورواه ابن ابى اصيبعة فى العيون .

ولا شك ان الكتاب كان موجودا فى يوم ما بين ايدى هؤلاء الرواة فالرواية متطابقـة تماما عنـد الجميع . فلقد امر كسرى لفرط اعجابه بهذا الطبيب العربى سليل كلده ذو الاصـل اليمنى ، والذى تعلم الطب فى مدرسة كانت قائمة باليمن كما يروى ابـن جلجـل وابن ابى أصيبعـة ، امر بان تسجل هذه المحـاورة بينه وبين هـــذا الطبيب العربى النابغة وان تحفظ فى سجلات القصـــر . ومن هذه السجلات اخـــذ الآخـــذون .

يقول كسرى للحارث وهو واقف بين يديـه لا يخشاه ولا يخـــافه ،

من انت ؟؟؟

يقول انــا الحارث بن كلـــدة الثقفى .

يساله كسرى مـــا صناعتك ؟؟

يقول الطـــب .

كان هناك اطباء عرب اذن فى شبه الجزيرة قبل الاسلام تعلموا الطب ومارسوه .

يقول كسرى اعرابى انـــت ؟؟

ويخلط الرواة وابن ابى اصيبعة بين عربى واعرابى كما هو شان ابن خلدون واكثر القدماء والمحدثين ويوقعوننا انصار الحضارة العربية بهذا الخلط فى حرج شديد .

فهناك فرق كبير بين اعراب وعرب ، والاعراب هم هؤلاء البـدو الرحل الذين لا يعرفون طبا ولا علما ولا عمران يعيشون على الكلا انا كان ، ينقصهم هذا الاستقرار الزراعى

الذى قلت لكم عليه فى اول حديثى اليكم والذى هو ضرورى لقيام الحضارات .
ولا شك ان كسرى كان يقصد ان يسأله أعربى انت ؟ فالعرب هم اصحاب هذه الحضارة العربية التى نقول عنها واصحاب هذا العلم العربى الذى نحكيه .
وحين قال ابن خلدون ان العرب بحكم بداوتهم قوم غير متحضرين وهلل الغــرب لذلك كان يقصد البــدو من الاعراب ، وتسببت هذه الألف الناقصة من نقاش شديد ما كان يقصده جــدى وجدكم ابن خلدون نجدنا الاعلى وائل بن حجــر اليمنى .
وكان حتما ان اكتب كتابى " دفــاع عن ابن خــلدون .
وحين سأل كسرى الحارث أعربى هو ؟
اجاب الحارث نعـم من صميمها وبحبوحة دارها .
كان يقصد انه يمت الى العرب العاربة الصرحاء بصلة عن طريق قبيلة كـلده .
يسأله كسرى فكيف بصرك بالطب ؟؟؟
يقول الحارث المعلم ناهيـــك .
يسأله كسرى فما اصل الطب ؟؟؟
يقول ابن كلــدة الأزم .
هــذه هى النظرية الطبيــة فى كلمــة .
يقول كسرى مستفهما فما الأزم ؟؟؟
يقول ابن كلدة ضبط الشفتين والرفق باليــدين .
هــذه هى النظرية الطبيــة فى كلمات اربع .
ضبط الشفتين عن تناول كل ما تريده من طعام والنفس أمارة بالسوء ، وتناول الطعــام بنظام وقدر ، انظر الى الحارث يقول ضبط الشفتين ولا يقول غلقهما ، فهو لا ينهـى من تناول الطعام كلية ولكنه يامر بضبط ذلك ، وامساك اليدين من تناول الطعــام حتى لا تتناولانه الابقــدر ، انظر الى الحارث المعلم لا يقول امساك اليــدين عن الطعــام كلية وانما يقول والرفق باليدين .
وضحت النظرية الان ، فالمرض عند الحارث طبقا لهذه النظرية التى تعلمها باليمن والتى هى نظرية الاطباء العرب بعد ذلك لقرنيـن من الزمان ، والتى سوف يحكيـها لنا يوما ابو قريش طبيب الرشيد ، هى الطعام ، زيادة ونقصا ، كما وكيفا ، مــا ينفع منه وما يضـــر . ما هو طعــام وما هــو ســـام .
يقول كسرى معجبا وقد انفرجت اساير وجهه ، وجرى ماء رياضة الحلم فــى وجهــه ، واعتدل فى جلسته على قول ابن ابى اسيبعه ،

بلغ اعجاب كسرى بالمعلم العربى الغاية ، ايقن انه امام حكيم اصقلته التجـــربة عرف ان ما يسمع من هذا الحكيم شيئ جديد لم يقل به الفرس ولا اهل مدرسة جنديسابور الذين احتضانهم فى مملكته ، يستزيد كسرى الحارث يسأله ،

فما الداء الدوى ؟

يشرح الحارث اكثر نظرية العرب فى المرض ، هذه التى تعلمها باليمن والتى تـدور كلها حول الطعــــام وجودا وعدما ، كما وكيفا ، طعاما وسط يجيب ،

ادخـال الطعام على الطعام ، هو الذى يفنى البرية ،

ويهلك السباع فى جـوف البريـه .

يطربـــه كسرى ، يقول كما قال له مــرات أصبــت.

يسأله فما الجمــرة ؟؟

ما زال الحارث يؤكـــد ما جاء بنظريته حول كل ما يمت الى الطعام بصلة يقــول ،

هى التخمــة ، ان بقيت فى الجوف قتلت ، وان تحللت اسقمت

يسأله كسرى عن الحمام .

يعـود الحارث الى الطعام ، يقول

لا تـدخله شبعانا .

ونحن نعرف من احدث التجارب العلمية ان ذلك صحيح وان دخول الحمام على امتلاء يفسد عملية الهضم - يضيف الحارث ، وكل ما يتحدث به من نظريته عن الطعام

ولا تقعـــد على الطعــام غضبـــانا .

ونحن نعرف ان ذلك صحيح ايضا ، وان الغضب قد يسبب توقف المعدة عن افرا ز عصـــاراتها .

يقول الحارث فى كتابه بعد ذلك ، وقلل من طعامك يكن أهنأ لبالـــك معلومة صحيحة قبل النوم كما يقول حتى لا يصاب المرء بكابوس اثناء الرقاد .

هـــذه هى نظرية العرب قبل الاسلام الذن تدور كلها حول الطعام والشراب زيادة او نقصانا ، كما وكيفا ، والازم ، وادخال الطعام على الطعام والتخمـة .

وظلت هذه النظرية معمولا بها حتى عصر الترجمة ، يقول النبى الكريم ،

" المعدة بيت الداء ، والحمية راس الدواء . " يقول ،

" نحن قوم لا ناكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع ." يقــول ،

" حسب ابن آدم لقيمات يقيم بها اوده . " يقـــول ،

" ثلث لطعامك وثلث لشرابك وثلث لنفسك ."

لـم يكن هذا الذى يقوله الرسول للمسلمين بجديد عليهم ، وانما كان ترديدا للنظرية الطبيـة العربية التى كان يعرفها الرسول ،والتى شرحها ابن كلدة شرحا وانيا فى كتابه ، والتى نصلها تفصيلا كانيا لكسرى الذى يساله بعد ان عرف ما عنده عن الطعام .. نمـا تقول فى الشـراب ؟؟

يقول الحارث أطيبه اهناه ، وأرقه امراه ، واعذبه اشهاه .

لا تشربه صرنا فيورثك صـداعا ،ويثير عليك من الانواء انواعا ،

كسرى يساله عن اللحمان بعد ذلك ، وعن الفواكه ، وعن الرياحين ، والبقول وشرب المـاء .

والحارث بن كلدة ما ينفك يصرح على نظرية العرب فيذكر الطعـام .

يقول الحارث بن كلدة ، " ان الجهل كل الجهل ان ياكل المرء ما قد عرف مضرته ويؤثر شهوته على راحة بدنه ،

يساله كسرى فما تقول فى الحمية ؟؟

يقول الحرث الاقتصاد فى كل شئ فان الاكل فوق القدار يضيق على الروح ساحتها ، ويسد مسامها .

ايها الاخـوة الاحبـة ...

لم يكتفى كسرى بما طرحه الحارث عليه من امر النظرية الطبية العربية فى المرض وانما هو يسال طبيب العرب عن امور تتناول الطب كله ، يساله عن الدواء وعن النسـاء وعن اصل الانسان وطبائع البدن والنور الذى فى العينين ، والعلاج والحقنة الـتى تكسح الادواء وتنقى الجوف ، وكتب الطب القديمة التى قراها الحارث وتعلم الطـب فى اليمن فيها ، فالحارث يذكر له انه قرا ما يقوله عن الحقنة فى كتب الحكماء .

هو طب حقيقى اذن وليس كهانة ولا عرافة فهذه لا تعلم من كتب الحكماء .

والحارث يمارس طبا عليها اذن له كتب ، ويدور حول نظرية وليس عرافة ولا كهانة كما يدعى الغـرب . وكما يذهب بعض العرب من ورائه .

لا يالو الحارث جهدا فى ان يصرح على النظرية العربية تلك كلما سئل سؤالا فهو اذا سئل عن الحمام ، تكلم عن الطعام والحمام ، واذا سئل عن الحقنـة تكلم عن اثر الحقنة على الطعام ، واذا سئل عن النساء اجاب عن اثر الطعام على غشيان النساء وما يفتأ يردد نظريته التى اخـذ بها النبى بعد ذلك ،

" البطنـة بيت الداء والحمية راس الدواء ."

وعودوا كل بدن ما اعتاده من الطعـام .

والطب العربى هـذا انبنى كلـه على هذه النظرية فلقد سمعنا ما قاله النبى وعلى ابن ابى طالب يردد كل هذا الذى قاله رسول الله والذى قاله الحارث فالنظرية واحدة والمرجع واحد كتب الحكماء التى قرأها الحارث فى اليمن والتى لم تصل الينا ويوما قريبا سوف يتم اكتشافها بفضلكم انشاء الله .

يقول على ، " من اراد البقاء ولا بقاء ، فليجود الغذاء ، وليأكل على نقاء ، وليشرب على ظمأ ، وليقلل من شرب الماء ، ويتمدد بعد الغذاء ، ويتمشى بعد العشاء ، وليقلل من شرب الماء ، ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء ، ودخول الحمام على البطنة من شر الداء ، وأكل القديد اليابس فى الليل معين على الفناء . تلك هى نفس نصائح الحارث لدرجة ان ابن ابى اصيبعة يقول ، " ورويت مثل هذه الكلمات عن الحارث .

يقول الحارث ، " من سره البقاء ولا بقاء فليؤخر العشاء ، وليباكر الغذاء ، وليخفف الرداء ، وليقلل غشيان النساء ".

من ابى عوانة عن عبد الملك بن عمير عن الحارث .

وعن حرب بن محمد قال حدثنا ابى قال ، قال الحارث ، " اربعة اشياء تهدم البدن ، الغشيان على البطنة ، ودخول الحمام على امتلاء ، واكل القديد ، ومجامعة العجوز . " (لاحظ ان ثالثة منها عن الطعام .)

وحتى حين اتت الحارث الوفاة ، لم يكف عن ان ينصح العرب فى غذائهم وشرابهم يقول داوود بن شداد من عمرو بن عوف ، قال لما احتضر الحارث بن كلدة اجتمع اليه الناس ، وقالوا ، مرنا بامر ننتهى اليه بعدك . يقول الحارث :

" لاتاكلوا الفاكهة الا فى اوان نضجها ، وعليكم بالنورة فى كل شهر فانها مذيبة للبلغم ، مهلكة للمرة ، واذا تغذى احدكم فلينم ، واذا تعشى فليتمش اربعين خطوة ، ولا تتزوجو من النساء الا الشابة ".

كانت هذه النظرية فى الطب والعلاج تختلف تماما عن ما هو معروف فى ايامها وهذا ما يجعلنا نقول ان الحارث تعلم فى مدرسة لها نظريتها المميزة لها والتى ظلت قائمة بعد ذلك لاكثر من قرنين من الزمان . تختلف عن نظرية الاخلاط اليونانية التى كان يعرفها الحارث ولا يعشر بها ويعرفها ابو قريش بعد ذلك ولا يمارسها . وتختلف عن نظرية الاخدو التى يقول بها قدماء المصريين والتى تركز على هذا العفن الذى كان يحدث داخل الاحشاء والذى كان يعتبرونه سببا لكل الامراض والذى كانوا يسمونه (الاوخدو) عرفوا ذلك من الاجساد غير المحنطة التى لم تنزع احشاؤها والتى سرعان ما يصيبها العفن والتحلل . والذى ناقشه روبرت ستيور وقال انه التسمم الصديدى ، وذكر ان حالة الاوخدو كثيرا ما ترد مقرونة بالبراز .

وكانت نظرية العرب تختلف ايضا من نظرية الصينين التى تقول بالجوهرين المتضادين الجوهر المذكر يانغ ، والجوهر المؤنث يين ، واللذين يجب ان يتعادلا تماما حتى يصبح المرء فى حالة اتزان ويتمتع بالصحة ٠

ايها الاخوة الاحبة ٠٠

اظن ان السلسلة اصبحت كاملة الان ، استدارت حلقاتها واتصلت تماما ، ولا يستطيع شككو الغرب والدائرون فى فلكهم ان ياتوها من بين يديها ولا من خلفها ٠

مدرسة طبية كانت قائمة باليمن منذ اقدم القدم تواكب الحضارة اليمنية العريقة وتستمر فى ايام السبئيين والحميريين ، ومومياءات تكتشف فى الفراس وشبكا ٠ وتظل الى ما قبل الاسلام ٠

تلاميذ يبتعثون الى هذه المدرسة يدرسون فيها الطب العربى او اليمنى ٠

ومن اشهرهم الحارث بن كلدة طبيب العرب غير منازع ٠

كتاب يشرح النظرية الطبية التى كان معمولا بها فى تلك الايام فى هذه المدرسة ٠

نظرية طبية ، تختلف من كل ما كان معروفا فى تلك الايام ، وتعطى للمدرسة المذكورة صورة التفرد والتميز ٠

اساتذة من حمير عنوا بتلقين هؤلاء الطلبة اصول الحكمة لم يذكر لنا التاريخ اسماء الكثيرين منهم او اننا كنا لا نعنى بمعرفة الكثير منهم واعدكم ان آتيكم باخبارهم فى عام قادم ٠

ولكن اشهرهم هو زهير بن خباب بن هبل الحميرى سيد الحميريين ، وشريفهم وخطيبهم وناصحهم واشهر من اشتهر بالحكمة والطب منهم على ايام الحارث ٠

ايها الاخوة الاحبة ٠٠٠

انها ليست مهمة الباحث ان يقول الكلمة الاولى والاخيرة فى كل حدث ٠ يكفى ان اضع حجر الاثاث ، والفكره (الماكيت) وبعض قوالب ... الطوب والرمل والاسمنت ، انتم اعظم بناة التاريخ احفاد الذين بنوا سد مارب ، وقصر غمدان وتيل خضراء حجر اقدم ابراج الدنيا ، وعليكم ان تبدأوا اذن البناء ٠

ايها الاخوة الاحبة ٠٠٠

ان الخيار الوحيد امامكم هو التاريخ ان عليكم ان تدرسوا لوحات النحاس العديدة والكتابات القديمة ، وخط المسند ، حتى يمكن ان تسدوا الفجوات التى مازالت قائمة

في تاريخكم القديم .

ايها الاخوة الاحبة

ان بعث اليمن الجديد يقتضي منا ان ندرس تاريخنا القديم وان نستخلص العبر منه .

ان درس التاريخ الاول ، هو بناء تاريخ حضارتنا بكل دقائقه ، تلك ضرورة حتم تقتضي منا ان ننشئ اليوم لا غدا جمعية لدراسة الحضارة اليمنية القديمة . وليدل كل منا بدلوه في مثل تلك الجمعية ، في الهندسة والزراعة والطب والاداب والفنون والموسيقى .

ان هذه المدرسة الموسيقية التي نعرف انها كانت موجودة باليمن تحتاج الى دراسة مستفيضة ، توضح معالمها .

اننا يجب ان نقيم مؤتمرا دوليا للحضارة اليمنية القديمة كل عام يتحدث فيه عشاق الحضارة اليمنية من كل بقاع الارض عن كل جديد في تاريخ حضارة اليمن القديم . ان مثل هذا المؤتمر الذي يجب ان تصحبه الدعاية الكافية ، فوق انه سوف ينعش الساحة العلمية ، فانه سيوضح الكثير من الجوانب المجهولة في حضارتنا .

اننا يجب ان نقيم مكتبة وطنية كبرى بالجامعة نحشد لها كل الطاقات ونجمع فيها كل ما كتب عن اليمن بكل اللغات ، لقد اقمت في ليبيا مثل هذه المكتبة منذ اعوام وانا مستعد ان اقيم لكم مثلها تطوعا دون اجر .

ان مثل هذه المحاضرات يجب ان تطبع وعلى نطاق واسع بالالاف وتوزع على كل انحاء العالم ، ان التعريف بحضارة اليمن القديمة يقتضي جهدا حكوميا موسعا وليس يكفي جهد الافراد ، لكي نكفل التكرار والاعادة الكثيفين والدق على اذهان مثقفي العالم ودارسي الحضارات حتى يترسب مفهوم الحضارة اليمنية القديمة والدور الذي لعبته في عالم الحضارات في اعمق اعماق وجدانهم .

انني اقول لكم ايها الاخوة والابناء ، ان دمكم يجري في عروقي وان دمائي تجري في عروقكم ، ومن اجل ذلك اتيت اليكم ، نرفع معا لواء اليمن الجديدة ، ونعزف معا سلامها ، ونسير معا على طريق عزتها وكرامتها ومجدها .

انتم ابناء اقدم مدنية في التاريخ .

الاستاذ الدكتور

خالد الحديدي

١٠ ابريل ١٩٨٥ م صنعاء
٢٠ رجب ١٤٠٥ هـ

المراجع .

١ـ ابن ابى اصيبعه   عيون الانباء فى طبقات الاطباء .
القاهرة ، المطبعة الوهبية ، ١٨٨٣ م .

٢ـ ابن الاثير   الكامل

٣ـ ابن جلجل   طبقات الاطباء والحكماء . القاهرة ، ١٩٥٦ .

٤ـ ابن حجر العسقلانى
تهذيب التهذيب .

٥ـ ابن خلدون   المقدمة .

٦ـ ابن عبد ربه   العقد الفريد .

٧ـ ابو الفرج الاصفهانى
الاغانى .

٨ـ اسد الاشقر   تاريخ سوريه .

٩ـ انتونى ناتنج   العرب تاريخ وحضاره . ترجمة محمود مسعود القاهره

١٠ـ براون ، ج .   تاريخ الطب العربى . الترجمة العربية . (الالف كتاب .)

١١ـ جورجى زيدان   العرب قبل الاسلام . بيروت . د . ت .

١٢ـ د . حسن ابراهيم
اليمن السعيد . القاهرة (اخترنا لك .)

١٣ـ د . خالد الحديدى
انتصاف للجاحظ . القاهرة ، ١٩٨٣ .
الخيل والفروسية عند العرب . القاهرة ، ١٩٧٤ .
الدور الذى لعبه اطباء الشام فى تطور الطب الاسلامى .
دمشق ١٩٨٢
دفاع عن ابن خلدون . القاهرة ، ١٩٨٣
فهرس مخطوطات الطب الاسلامى . القاهرة ، ١٩٨٢ـ ١٩٨٥ .

١٥ـ داوود الانطاكى
تذكرة اولى الالباب والجامع للعجب العجاب . القاهرة .

١٦ـ د . سيدة اسماعيل كاشف
مصادر التاريخ الاسلامى ومناهج البحث فيه . القاهرة ، ١٩٦٠ .

١٧ـ صاعد الاندلسى
طبقات الامم . القاهرة .

١٨ـ فيليب دى طرازى (الكونت)
خزائن الكتب العربية .

١٩ـ القفطى   طبقات الاطباء والحكماء . القاهرة .

٢٠ـ هـل . الحضارة العربية . ترجمة ابراهيم العدوي (سلسلة اقرا)

٢١ـ الهمداني الاكليل . صنعاء . مركز التراث .
صفة جزيرة العرب . صنعاء ، مركز التراث .

٢٢ـ هيرودوت تاريخ هيرودوت ، ترجمة حبيب سترث . بيروت . ١٨٨٦ .

٢٣ـ ياقوت معجم البلدان . القاهرة .

REFERENCES.

Burton. Mines.

Lenormand . Part III .

King . Part I .

Sharp. Part I.

الجمعية العالمية لإحياء التراث الإسلامي
١٠ شارع عزيز فهمي ، طنطا
مصر